جامعة الجزائر 3

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية

مطبوعة في مقياس نظرية العلاقات الدولية موجهة للطلبة السنة الثانية جذع مشترك

من إعداد الأستاذة :

- إيجر أمينة

قائمة المواضيع

المحور الأول : التعريف بنظرية العلاقات الدولية وتحديد خصائصها

المحور الثاني : التصنيفات المختلفة لنظرية العلاقات الدولية

المحور الثالث :الصعوبات الكامنة في دراسة نظريات العلاقات الدولية

المحور الرابع: النظرية الليبرالية والليبرالية الجديدة

المحور الخامس : النظرية الواقعية والواقعية الجديدة

المحور السدس: النظرية الماركسية والماركسية الجديدة

المحور السابع :النظرية السلوكية والسلوكية الجديدة

المحور السابع: النظرية البنائية

الخاتمة .

تمهيد

يحظى تدريس نظرية العلاقات الدولية باهتمام بالغ من قبل المختصين والدبلوماسيين ورجال الدولة على السواء نظرا لما يقدمه هذا الحقل المعرفي و"العلمي " من أدوات ووسائل لفهم ما يحدث على المستوى الدولي من اتصالات و تفاعلات ، والقدرة للتأثير فيه ، وتغييره وفق ما يخدم غاياتهم ومصالحهم الخاصة.

لقد ظهر هذا الفرع الأكاديمي عام 1919 تحت اسم "السياسة الدولية"، في جامعة أبيرستويت Aberstwyth ، بدعم من صناعي ويلزي David Davis، وذلك بغرض منع نشوب الحروب وأطلق عليه اسم كرسي ودروو ويلسن للعلاقات الدولية تحت إشراف ألفريد زيمان Alfred Zimmen، وانتشرت الدراسات في بداية العشرينات إلى الجامعات الأخرى مثل كلية لندن للاقتصاد London School of Economics، و ليتم إنشاء في 1927 المعهد العالي للعلاقات الدولية في جنيف الذي اهتم بتكوين الديبلوماسيين التابعين لهيئة الأمم المتحدة لينتقل هذا الفرع إلى الجامعات الأمريكية ويبقى حكرا لها .

اتسمت الدراسات في البداية بالطابع الفلسفي المعياري (الأخلاقي القانوني) الملتزم بتغيير العام، وقد وصف هذا الاتجاه بالمثالي، لكن سرعان ما استعار هذا الحقل مجموعة من المناهج والأدوات المستخدمة في العلوم الاجتماعية الأخرى ليستقل عن علم السياسة ويصبح "علما قائما بذاته" لديه موضوع خاص به (دراسة الظواهر الدولية)، ونظريات تحاول تفسير الواقع الدولي.، والتنبؤ به بغية التأثير فيه و تغييره إذا اقتضى ذلك .

المحور الأول : التعريف بنظرية العلاقات الدولية وتحديد خصائصها

تعد دراسة العلاقات الدولية مسالة معقدة و صعبة للغاية لأسباب عديدة أهمها ارتباط هذا الحقل المعرفي و اشتباكه مع العديد من الميادين العلمية كالقانون، الاقتصاد،الاجتماع، الجغرافيا، التاريخ، السياسية، الانتروبولوجيا، مما صعب من استقلاله كعلم قائم بذاته لديه موضوع خاص به، ومناهج ونظريات مفسرة له. أما الصعوبة الثانية فهي مرتبطة بمصطلح "الدولي" وما يثيره من اختلاف وجدل، أنقصد به تلك العلاقات البشرية المنظمة سياسيا (وجود عنصر الاستقلالية السياسية) وهنا نكون بصدد دراسة جميع العلاقات التي كانت قائمة بين المجتمعات والإمبراطوريات والحضارات القديمة، أم نقصد بها

تلك الروابط بين الوحدات السياسية المستقلة وذات السيادة المتمثلة في الدول ، وهذا يعني أننا نقصي بقية الأطراف الأخرى المشكلة للمجتمع الدولي من منظمات غير حكومية، و شركات متعددة الجنسيات، و أفراد، والتسليم بمحدودية العلاقات الدولية واقتصارها على الجانب الرسمي ، أم أنها هي جميع الروابط والمبادلات والاتصالات والتدفقات التي تتم خارج حدود الدولة، وهذا يقودنا إلى إفراغها من طابعها السياسي ومن قبضة وسيطرة الدولة . وعموما يمكننا اعتبار العلاقات الدولية هي كل علاقة ذات طبيعة سياسية من شأنها إحداث انعكاسات سياسية تمتد إلى ما وراء الحدود الإقليمية لدولة ما[1].

أما فيما يخص النظريات في هذا الحقل المعرفي فتتعدد وتختلف باختلاف المواقف، والمقاربات، والرؤى والنتائج ، مما دفع دانيال كولار في كتابه العلاقات الدولية إلى القول " أنه كما في كل علم جديد، يتكاثر الاختصاصيون من أصحاب الكفاءات والخلافات العقائدية والتناقضات الفكرية والمجادلات حتمية هنا ولابد منها ، وليس من المبالغ القول أن تمة فعليا مفاهيم ونظريات حول الظواهر العالمية بقدر ما هناك من مؤلفين "[2]. وقبل الخوض في غمار هذه النظريات نتساءل في البداية حول المقصود بنظرية العلاقات الدولية ، أهم التصنيفات المقدمة لها، الصعوبات التي تحول دون وضع نظرية علمية عامة شاملة للعلاقات الدولية .

ينحدر مصطلح النظرية Theory من كلمة يونانية وتعني النظر في حالة معينة أو الاعتقاد أو التفكير ويرى كريس بروان Chris Brown " " إننا نقوم بالتنظير حين نفكر بعمق وبطريقة مجردة حول شيء ما " والنظرية بمفهومها البسيط عبارة عن اختيار مجموعة من الظواهر المحددة وتفسيرها تفسيرا عاما يرضي أو يقنع أي شخص مضطلع بخصائص الظاهرة التي تجري دراستها. ويمكن تعريفها أيضا أنها تنظيم المعلومات بشكل يمكن معه تقديم أجوبة سليمة تثيرها الظاهرة موضوع الدراسة . فإذا توقفنا عند التعريف الأول نجده يثير مشكلة المعرفة الذاتية والمعرفة الموضوعية فما هو مقنع لصاحبها قد يكون غير مقنع للمتلقيين، فهي تعبر عن موقف علمي فحسب ألكسندر وندت Alexander Wendt فإن النظرية هي لشخص ما و من أجل هدف ما. في حين نجد أن التعريف الثاني يجعل من النظرية مرادف للمنهج method، لأن وظيفة المنهج هو تنظيم المعلومات فحسب عبد الرحمان بدوي في كتابه مناهج البحث العلمي "المنهج هو الطريق للكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة عن طريق مجموعة من

[1] مبروك غضبان، المدخل للعلاقات الدولية (الجزائر: دار العلوم والتوزيع، 2007)، ص.14.
[2] . دانيال كولار، ***العلاقات الدولية***، ترجمة: خضر حضر، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط.1، 1980)، ص.10

القواعد العامة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة "[3]. هناك تداخل بين المنهج والنظرية وعلاقة تأثير وتأثر فالمنهج هو الطريقة التي يتبعها الباحث لوضع الفرضيات التي يتم إثباتها أو نفيها فيشترط فيه العلمية والموضوعية في حين أن النظرية تحمل الأفكار والخلفيات الفكرية لواضعيها. فالمنهج أداة ضرورية للنظرية لا يمكن الاستغناء عنه كما أن النظرية تملي على الباحث ضرورة التعديل عندما لا يتم التوصل إلى النتائج المطلوبة أو اكتشاف حقائق جديدة تتعارض معه .

وهناك العديد من التعاريف المقدمة للنظرية في العلاقات الدولية مثل ذلك الذي قدمه ستانلي هوفمان St.Hoffman "مجموعة من الاقتراحات المترابطة منطقيا لاختصار كم هائل من المعطيات".

تعريف فيليب بريار Philipe Braillard في كتابه نظريات العلاقات الدولية " إطار مفهومي يمكن معه تنظيم البحث وصياغة الفرضيات التي من شأنها إيضاح الظواهر المدروسة "

أما دفيد سينجر David Singer "كمية كبيرة من المعرفة الوصفية والمترابطة والتفسيرية مجتمعة في كل منطقي ومتماسك"فبالنسبة لسينجر فإن النظرية وسيلة لتدوين ما هو معروف وما نحاول أن نعرفه. أما جيمس دوروتي وروبرت بالستغراف " النظرية تنظيم للمعلومات بشكل معين يمكن معه تقديم أجوبة سليمة لأسئلة تثيرها الظاهرة موضوع الدراسة ويقدم معاني كثيرة للنظرية في العلوم الإجتماعية في العلاقات الدولية ويعتبرها[4] :

– أنها نظام استنتاجي : Deductive System تقديم مجموعة من الفرضيات المتماسكة منطقيا قد لاترتبط هذه النظم النظرية بالعالم الحقيقي بشكل مباشر لكنها تصلح لمقارنة بما هو قائم. نموذج النظم عند مورتان كابلان وجورج مودلسكي .

–نظام تصنيفي يمكن من تنظيم المعلومات وتبويبها مثل النظام السياسي عند D.Easton أو نموذج سنايدر R.Snyder، قابريال ألموند G.Almond.

– مجموعة من الفرضيات حول السلوكية السياسية تم التوصل إليها من خلال الاستقراء من دراسة تجريبية أو دراسة مقارنة مثل الدراسة التي قام بها كارل دوتش للتجربة الوحدوية لأوربا ثم وضع مجموعة من الفرضيات والشروط المستوجب توفرها لتمتين الأنواع المختلفة من الاندماج.

---

[3] عبد الرحمان بدوي، ***مناهج البحث العلمي***،

[4] ناصف يوسف حتي، ***النظرية في العلاقات الدولية*** (بيروت : دار الكتاب العربي،1985)، ص ص.16-22.

– مجموعة من المواقف حول السلوكية العقلانية مبنية على حوافز مهيمنة للقوة مثال نظرية توازن القوى لهانس مورغانتو Hans Morgenthau .

– مجموعة من القيم والقواعد والمبادئ التي تدل على ما يجب أن تكون عليه سلوكية الأطراف السياسية، وتدخل في ذلك دراسة العلاقات الدولية من منظور ما يفترض أن تكون عليه أخلاقيا.وتدخل في هذا الإطار مثال عن ذلك النظرية ما بعد السلوكية، والليبرالية المثالية، ونظرية التبعية.

– مجموعة من اقتراحات عملية تقدم لرجال الدولة و المسؤولين ، و هذه الاقتراحات أو الإرشادات تكون بمثابة مسلمات حول النظام الدولي وشكله وبنيته مثال هن ذلك هنري كيسجر H.Kisinger ورسمه للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط خلال السبعينات، بريزنسكي Brezensky، وغيرهم .

وعموما يمكن استخلاص مجموعة الخصائص المتعلقة بالنظرية صفة عامة و العلاقات الدولية على الخصوص :

– النظرية بناء تراكمي للعقل يربط بين النتائج ومسبباتها حسب لالاند ، فحتى تتمكن النظرية أن تبقى صالحة يجب أن تتكيف مع تطور العلوم وأن تخضع باستمرار إلى الإثبات و التحقيق والنقد فإذا اعتبارنا أن النظرية كاملة وإذا توقفنا عن التأكد من صحة فرضياتها فإنها تصبح عقيدة.

– يفترض في النظرية أن تكون لديها قدرة تنبؤية من حيث درجة احتمالية التكهن بما سيحدث مستقبلا فمثلا نظرية الردع خلال الحرب الباردة.

– يجب أن تخضع كل نظرية لرقابة العقل، والنقد التجريبي، فمثلا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى هناك مطالبة بإعادة النظر في المبدأ الواقعي الذي ينظر إلى العالم نظرة تشاؤمية تسوده حالة فوضى مطلقة .

– لا يوجد نظرية شاملة عامة في حقل العلاقات الدولية نظرية الذي يتسم بالتعقيد الشديد، ويمكن تعريف التعقيد هو استحالة عزل النظام عن بيئته.

– كل نظرية لديها مدة صلاحيتها ، وهذه المدة ليست محدد بشكل مطلق، فهي مرتبطة بدرجة التقديرية فمثلا في النظام الثنائي القطبية أثناء الحرب الباردة سادت نزاعات دولية ثانوية أو غير مباشرة تتوافق مع مبدأ الردع، في حين نجد نظرية توازن القوى التي صاغها دفيد هيوم David Hume في 1742، و طورها هانس مورغانتو Hans Morgenthau لا تزال صالحة في العديد من الظروف.

– كل بحث نظري يجب أن يحدد نطاقه. إن التكهنات و التخمينات العامة والتي لا تخضع للنقد التجريبي، ليست لها قدرة تنبؤية، ولا يمكن اعتبارها نظريات فهي أدوات إيديولوجية مثال النظرية الإمبريالية اللينينية، نهاية التاريخ لفوكوياما، صراع الحضارات لهانتنغتون .

المحور الثاني : التصنيفات المختلفة للنظرية في العلاقات الدولية

يوجد العديد من التصنيفات المقدمة لنظريات العلاقات الدولية، فدانيال كولار Daniel.Colard يدرج التيار الواقعي والليبرالي إلى نظرية الكلاسيكية، التي تعتمد في منطلقاتها على حالة الطبيعة أما التيار الماركسي فيصنفه ضمن النظرية المعاصرة التي تركز على المجتمع الدولي ، في حين نجد فيليب بريار Philippe Braillard يتحدث عن النظرية الماركسية اللينينية، عوض الماركسية والنظرية الليبرالية القانونية عوض النظرية الليبرالية ، أما بول فيوتي Paul Viotti ومارك كوبي Mark Kauppi فيستخدمان عبارة العولمة في إشارتهما إلى الماركسية غير أن معظمها يقيم تميزا بين" النظريات العامة أو الشاملة "الفلسفات الثلاثة، والتي قدمت تفسيرا معياريا، و تاريخيا، وذات طابع شمولي نسبيا الواقعية ،الليبرالية والماركسية والنظريات الأخرى التي تضم النظريات الجزئية المرتبطة بمختلف تخصصا ت العلاقات الدولية والنظريات المعيارية النقدية للنظريات العامة[5].

النظريات العامة والنظريات الجزئية[6]

تقوم النظريات العامة على مفهوم معين وتحاول تفسير بواسطته مختلف الظواهر الدولية كمفهوم القوة عند مورغانتو الذي يعد غريزة ، هدف ووسيلة أو مفهوم الطبقة والصراع الطبقي عند ماركس . (متغير واحد على العديد ن الظواهر) . فمفهوم القوة أو المصلحة القومية قد يصلح في زمن وظروف معينة كعامل أساسي وفعال في شرح الكثير من السلوكيات السياسية لكنه لا يصلح في كل الأزمنة. فمستوى التحليل هنا النظام الدولي . أما النظرية الجزئية أو المتوسطة فهي تركز على جزء أومن الظواهر والتفاعلات الدولية وتحاول فهمه مثل صناعة القرار في السياسة الخارجية، نظرية الردع و

[5] Diane Éthier , ***Introduction Aux Relations Internationales***(Montréal : Presses de l'Université de Montréal, 4eme ed., 2010, p.24.

,

[6] حتي ، ***مرجع سابق الذكر*** ،ص..18.

المباريات في إدارة النزاعات الدولية ، وما يعاب عليها أنها تركز كثيرا في مفاهيمها على العلوم الاجتماعية الأخرى، وغالبا ما تقع في خطأ نقل المفاهيم من إطار نظري معين إلى إطار أخر (ظواهر محدودة بعدد كبير من المتغيرات).فمستوى التحليل الفرد أو المستوى القومي للدولة.

النظريات التجريبية والنظريات المعيارية [7]

تنطلق النظرية المعيارية Normative من مسلمات معينة حول الطبيعة الإنسانية والعلاقات الدولية، وتهدف إلى دراسة ظواهر سياسية وعامة بناء على قيم أخلاقية مطلقة يفترض أن تكون قيم عالمية..في حين نجد أن النظرية التجريبية تقوم على دراسة حالات محددة وعديدة قدر الإمكان دون أن تهم في أكثر الأحيان في التوصل إلى إطلاق أحكام عامة . ويحذر دفيد سينجر D.Singer من التمييز

بين النظرية التجريبية والنظرية المعيارية من جهة أخرى ، إذ أن عندما تحاول النظرية التجريبية أن تنقطع كليا عن النظرية الفلسفية المعيارية بهدف الحفاظ على الحياد والموضوعية والعلمية فهي تقع في خطأ محاولة التشابه مع العلم التطبيقية وعندما تقطع النظرية المعيارية علاقاتها بالواقع فهي تقع في كثير الأحيان في خطأ تصور أن ما تريد تحقيقه صار موجودا .

النظريات الاستقرائية والنظريات الاستنتاجية

النظرية الاستنتاجية تنطلق من فرضيات ومنطلقات عامة وصولا إلى نتائج خاصة .أما الاستقرائية تنطلق من واقع محدود ومن حالات معينة لإبراز السمات العامة. مثال صناعة القرار أثناء الأزمة.

النظريات العامة التفسيرية والنظريات العامة النقدية [8]

تهدف النظريات التفسيرية إلى تفسير العلاقات الدولية مثل التفاسير المقدمة في العلوم الطبيعية والدقيقة التي تعتمد على التفكير العقلاني و المنهج التجريبي خاصة بعد الثورة السلوكية فهدفها شرح العلاقات الدولية باستعمال منهجية علمية صارمة و دقيقة تستعمل التجربة و التحقق من الفرضيات و تؤمن بوجود واقع قابل للاكتشاف و المعرفة.

---

[7] ***المرجع نفسه***، ص. 18.

[8] جون بيليس وستيف سميت، ***عولمة السياسة العالمية***،ترجمة: مركز الخليج للأبحاث(الإمارات العربية المتحدة : مركز الخليج للأبحاث،2004)،ص ص.353 -373.

تعتبر النظريات النقدية أن المواضيع المدروسة في العلوم الاجتماعية تختلف عن تلك المدروسة في العلوم الطبيعية ويمكن تفسير العلاقات الدولية من خلال المعنى الذي يقدمه الفاعلين أنفسهم ، وهذا ما أدى إلى فشل التنبؤ بنهاية الحرب الباردة، ودفع بالباحثين إلى إعادة إحياء التعريف الذي قدمه ريمون أرون R.Aron للنظرية في العلاقات الدولية في مقال له نشره عام 1967 بعنوان ماذا نعني بنظرية في العلاقات الدولية) (Qu'est ce qu'une théorie des relations internationales نوه فيه بالصعوبات التي واجهته عند تحريره لكتابه السلام والحرب بين الأمم عام 1963 وتوصل إلى انه لا يمكن وضع نظرية عامة شاملة في العلاقات الدولية بسبب السلوك الدبلوماسي الاستراتيجي الغير محدود وصعوبة التمييز بين المتغيرات الداخلية للنسق الدولي و المتغيرات الخارجية علاقات القوة الاقتصادية و الأنظمة الداخلية للدول فالمقاربة السوسيولوجية هي التي تسمح بفهم بعمق تنوع الأنظمة والأنساق الدولية ودراسة سلوك الفاعلين من خلال كيف يحددون الرهانات والحلول للمشاكل والقضايا التي يواجهونها فالنظرية في العلاقات الدولية تختلف وتتنوع عن حيث الفكرة التي لدينا عن النظرية ولكن من خلال مستوى التحليل الذي نقف عنده لتفهم وتفسير العالم.

وظائف النظرية في العلاقات الدولية[9]

يرى ستيف سميت وجون بايليس في كتابهما عولمة السياسة العالمية أن نظريات العلاقات الدولية هي وسائل وأدوات للتبسيط الواقع، و التي تتيح لنا أن نحدد الحقائق ذات العلاقة والحقائق التي لا تمد للموضوع بصلة، فهي أشبه بالنظارات الشمسية التي نرتديها لرؤية العالم وفق لونها، ويمكن حصر الوظائف في :

أ- تنظيم المعلومات مما يمكن التعرف على جوانب الانتظام وعدم الانتظام في التفاعلات الحية لتلك الظواهر. كما يسمح ب التوصل إلى تحديد الأهمية النسبية لكل واجد من المتغيرات والعوامل التي تدخل في سياق هده التفاعلات (العوامل الأساسية والإستراتيجية) .

ب- فهم وتفسير الأحداث من خلال استخراج العلاقات السببية بربط المتغيرات مع بعضها البعض (أسباب قيام الحروب، لماذا تضمحل المحالفات الدولية ؟ لماذا يفشل مبدأ توازن القوى، ...).

[9] جيمس دوروتي و روبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ،ترجمة : وليد عبد الحي(الكويت : مكتبة شركة كاظمة للنشر والتوزيع،1985)، ص ص.17-39.

ج – التنبؤ ما يجب أن يكون مستقبلا وهذا أيضا أمر صعبا بسبب تغير الظاهرة الدولية باستمرار من حيث إطارها الزماني والمكاني. فالتنبؤ يبقى محدود.

د– توجيه الواقع وتغييره وفقا المبادئ الأخلاقية، والمصلحة تعمل على زيادة وتطوير البحث العلمي فهي تعرض مواضيعها بشكل منظم ومفيد وفي نفس الوقت للحقول الأخرى المعرفية

ويرى كوينسي رايت أن للنظرية وظائف تتثمثل في الإجابة على :

–الحقيقي ، ماهر كائن ––– يمكن معرفته بالوصف.

– الممكن ، ما يمكن أن يكون – يمكن معرفته بالإدراك النظري التفسير.

–المحتمل أن يكون –بالتنبؤ.

– المرغوب ما يجب أن يكون بالتفكير ألقيمي والأخلاقي.

الصعوبات الكامنة لوضع نظرية علمية عامة شاملة للعلاقات الدولية[10]

يمكننا حصر مجموعة من الصعوبات :

1 – تعقد مجال العلاقات الدولية واتساعه وتشابكه مع العديد من الميادين الأخرى

أن ظاهرة العلاقات الدولية ظاهرة معقدة، لاتساع أفاقها وميادينها بصورة غير عادية فغياب إجماع بين دارسي هذا الحقل من الدراسات على حدوده هل نركز على الطبيعة السياسية للعلاقات الدولية أم الأبعاد الاقتصادية والثقافية والنفسية والتكنولوجية والبيئية ؟وإذا سلمنا بذلك كيف يمكننا خلق انسجام وتوافق بين الجهود المبذولة في قطاعات التخصصات الأخرى المرتبطة بموضوعها كالدراسات في علم الاجتماع، النفس،الإعلام الرأي العام، الإستراتيجية الاقتصاد، الثقافة ، أي ماهي الكيفية إدماجها في كيان عضوي منسق ومتكامل (مثلا نظرية علمية متكاملة عن الصراعات الدولية)، وتحقيق التوازن بين العناصر وعدم التحيز لتخصص معين ؟

2– ارتباط السياسة الدولية والخارجية بالسياسة الداخلية

[10] اسماعيل صبري مقلد، ***نظريات السياسة الدولية*** (الكويت :دار السلاسل ،1987)،ص ص.22-36.

ماهي حدود التداخل بين الظواهر الخارجية والداخلية ، فإذا أخذنا ظاهرة التحالف الدولي إلى أي مدى تؤثر (العوامل الداخلية تصور النخبة الحاكمة،الرأي العام الداخلي ، الضغوطات السياسية، الاجتماعية ، التاريخية) وتأثير العوامل الخارجية (التهديد الخارجي ،أللأزمات الاقتصادية الدولية، وغيرها).

3- طبيعة الوحدات التي يجب أن يتمركز حولها التحليل النظري

هل الدولة القومية هي وحدة التحليل الأساسية ؟ إذا كان الجواب بنعم فلقد عرفت هذه الأخيرة تغيرات مستمرة عبر التاريخ ، فماذا عن المنظمات الدولية والإقليمية والغير حكومية التي تقوم بعلاقات دبلوماسية مهمة كالرقابة على التسلح، البيئة ،حقوق الإنسان، الاستخدامات السلمية للفضاء الخارجي ، الإرهاب ...الخ ماذا عن المنظمات والمؤسسات العاملة داخل الدولة ، الأحزاب الكنائس، جماعات الضغط، النقابات، ودور الأفراد كفواعل بتحليل أفكارهم وإرادتهم ومشاعرهم.

4 – مدى ارتباط نظرية العلاقات الدولية بتاريخ العلاقات الدولية

يعد تاريخ العلاقات الدولية المادة الخام التي يستخدمها المنظر سعيا لصياغة نظرية.هل محور اهتمام نظرية العلاقات الدولية يجب أن يدور حول الواقع الدولي المعاصر، أم يجب أن يشمل الماضي، أم الحاضر والماضي مع(الحدود الزمنية المناسبة لهذا التاريخ) ؟ إن غياب الدعم المادي و البحث عن اليسر والسهولة، توفر المعلومات والبيانات يدفع بالباحث إلى التعرض إلى ظواهر مرتبطة بالنظام المعاصر . في الوقت الذي فيه ركز التقليديون –الليبراليون والواقعيون– على العامل التاريخي باعتبار الواقع المعاصر هو امتداد لتقاليد و سلوكيات سابقة، نجد أن السلوكيين نادوا بضرورة عزل الظاهرة عن مؤثراتها الأخلاقية والتاريخية .ي قول سانتلي هوفمان أن التحليل النظري يجب أن يركز على دائرتين دارة الماضي ودائرة المستقبل.

5- مشكلة العلاقة بين النظرية والواقع أي إلى أي مدى يجب أن يتحقق الارتباط بينهما.

هل النظرية في العلاقات الدولية وظيفتها التجريد النظري بغض النظر عن اتصالها بالواقع الدولي أم أن هدفها هو ترشيد صناع القرار بتزويدهم بالأدوات التي تمكنهم من تفهم الواقع الدولي الذي يتعاملون معه(الجانب العملي خطط العمل) ؟.هل كان لدى السياسيين ذوي الخبرة الطويلة في ممارسة

الحكم نظرية في العلاقات الدولية جديرة بالدراسة كديغول،ميترنيخ، تشرشل، روزفلت، ستالين، لينين؟ إن أغلب رجال السياسة يضعون قراراتهم حسب تجربتهم الشخصية ، المؤسسات التي عملوا فيها، و ربما تكون هذه النظريات التي يستندون إليها ليست تلك التي يتبنونها أمام الرأي العام وهذا يصعب تحديد العلاقة .

ضرورة تحديد ما إذا كانت دراسة العلاقات الدولية هي نفسها دراسة السياسة الخارجية

يعتقد بعض الباحثين أنهما وجهان لعملة في حين يرى آخرون أن العلاقات الدولية أوسع في مجالها وأشمل في آفاقها. فهناك مجموعة من العوامـل تتفاعل في بيئة العلاقـات الدوليـة وتؤثر على السياسات الخارجية للدول (المتغيرات التكنولوجـية ، والبيئية و الاقتصادية، الإيديولوجية و المذهبية ....).

النظرية الليبرالية

ظهرت هذه النظرية مع بداية العشرينات وترجع جذورها إلى فلسفة عصر التنوير في القرن السابع عشر، ومفكرين الاقتصاد الليبرالي للقرن التاسع عشر ، والمثالية الويلسونية في القرن العشرين ، وأصبحت أكثر شعبية بعد نهاية الحرب الباردة. انطلقت من مسلمات فلسفية تفاؤلية حول الطبيعة البشرية للمفكرين الإغريق و التي تعتبر أن الأفراد أناس عقلانيون قادرون على فهم القوانين التي تطبق بصورة شاملة والتي تحكم الطبيعة والمجتمع الإنساني ، وفهم القوانين يعني أن الناس يمتلكون القدرة على تحسين ظروفهم وبناء مجتمع عادل، وإذا لم يتم بناء مجتمع عادل ما، فالخطأ يقع عندئذ على المؤسسات غير المناسبة والفاسدة . وأولوية الأخلاق في العلاقات بين الأفراد ، وإن كان ذلك في إطار المجتمع الوطني أوفي إطار الدولي، ووجوب الخضوع للقوانين والقواعد التي وضعت لخدمة الجماعة داخليا وخارجيا ، وأن الحرب غير ضرورية وأنها طريقة قد عفا عنها الزمن في تسوية النزاعات بين الدول. واتجهت فرضياتها نحو الفرد والرأي العام والبشرية جمعاء أكثر مما اتجهت نحو الدولة والمجتمع الدولي.

كما تولي الليبرالية أهمية بالغة للمؤسسات الدولية في تحقيق التقدم و السلم، فالدول الديمقراطية تتبع سياسات محايدة وتمتنع عن إتباع سياسات القوة لأنها تخضع للرأي العام الذي يميل لمنع نشوب الحروب ، والعكس بالنسبة للدول الغير ديمقراطية التي يشن حكامها حروبا لمصلحتهم الذاتية وليست لمصلحة شعوبهم. ويشجع التبادل التعاون ويؤدي إلى الانسجام التلقائي وطبيعي للمصالح على اعتبار أن كل الدول لها مصلحة في السلم، وأن كل دولة تريد أن تعرقل السلم هي غير عقلانية وأخلاقية.

الليبرالية الدولية[11]

نشأ التفكير الليبرالي بشأن العلاقات الدولية مقترنا بخطط السلام المخلفة من قبل الفلاسفة ورجال الدين منذ القرن السادس عشر الذين اعتقدوا انه يمكن للعقل أن يحقق الحرية والعدالة في العلاقات الدولية وقد دعى غرسيوس Grotuis في كتابه "قانون الأمم " بالعودة إلى العرف الدولي الذي يقوم على القيم الأخلاقية .

إمانيول كانط 1724-1804 Imanuel Kant

يعتبر أكثر من ساهم في إرساء الليبراالية الدولية في كتابه مشروع السلام الدائم عام 1796 أن القانون العالمي cosmopolitan law الذي يجب أن ينظم العلاقات بين الأفراد يختلف عن القانون الذي ينظمها بين الدول فالأول هو القانون العام ، أما الثاني فهو قانون الأمم ،وعارض حالة الوحشية التي لا تخضع لأي قانون وعلى المستوى الدولي ، و أن الشيء الحتمي لتحقيق السلام الدولي هو خضوع الأفراد لأنظمة تضمن لهم حقوقهم الأساسية الحق في الحياة، الحرية، الملكية. واعتبر أن الأنظمة الديمقراطية (الدستورية الجمهورية) كما سماها هي التي تكفل لهم ذلك لأن الأفراد هم الذين يقررون الحروب التي سيدفعون هم الأوائل ثمنها . كما يشترط تحقيق السلام الدائم تحويل وعي الفردي، والإيمان بالخصائص العقلانية للأفراد على الرغم من حرصهم على مصلحتهم الشخصية، فهم قادرون على التعاون وبناء مجتمع أكثر سلمية و تناغما . ويستند السلام الدائم على فيدرالية بين الدول الحرة هي بتعبير أدق أشبه بكونفيدرالية ، وليست حكومة عالمية، يحتفظ أعضاؤها بسيادتهم، ولا يربط في ما بينهم إلا مؤسسات شبه فدرالية كما هو الحال في أوربا اليوم.

[11] Dario Battistella , Théorie des Relations internationales (Paris : Presses de sciences Po ,coll. , 2003), pp.143-169.

مونتسكيو Montesquieu 1689-1755

اعتبر أن طبيعة الإنسان ليست هي الناقصة، بل أن المشكلات التي تبرز عندما تدخل المدنية إلى المجتمع ، وتشكل دول مستقلة. فالحرب نتاج المجتمع وليس صفة متوارثة عن الأفراد فالمدنية. فالتعليم ضروري لتجاوز العيوب في المحتمع ، وأن الآثار الطبيعية للتجارة هو إحلال السلام .

جيرمي بنتام Jeremy Bentam 1748 -1832

دعى في كتابه "حرروا مستعمراتكم" عام 1830 إلى أن بين مصالح الدول لا يوجد أي مكان لأي صراع حقيقي ، وإن التنافس من أجل الحصول على المستعمرات هو السبب المباشر لجميع المشاكل الدولية . واعتبر أن كل تجارة في جوهرها مفيدة وكل حرب في جوهرها غير مفيدة.، وبين أن الدول الفيدرالية مثل الدايت (Diet) الالملني والكزنفدرالية الأمريكية والاتحاد السويسري تمكنت من تحويل هويتها من هوية مستندة إلى المصالح المتصارعة إلى فيدرالية أكثر سلمية.

جون ستيوارت ميل Jean Stuart Mill 1806-1873

اعتبر أن التجارة تجعل الحرب لا معنى لها وتجاوزها الزمن وذلك بتقوية المصالح الشخصية التي تعترضها

ريتشارد كوبدن Richard .Cobden 1804-165

رأى أن أسباب الصراع عمليات ندخل الحكومات على الصعيدين المحلي والدولي ، والتي توقع الاضطراب في النظام الطبيعي ،وأن العناصر المحددة للسلام حسبه الحرية الفردية، التجارة المزدهرة، الترابط والانسجام الطبيعي في المصالح، وأن التبادل التجاري هو الوسيلة لضمان السلام العامي الدائم.

وتعد فكرة إخضاع الدول إلى نظام من الحقوق والواجبات القانونية (القانون الدولي)، أمر حاسم ويمكن أن ينبثق من دون حكومة عالمية .والاعتماد على فكرة أساسية المتمثلة في الانسجام الطبيعي بين المصالح والعلاقات السياسية والاقتصادية بالدرجة اللأولى لتحقيق السلام.

الليبرالية المثالية

ظهرت في فترة مابين الحربين وتخلت عن الفكرة الكلاسيكية والداعية إلى الانسجام التلقائي بين مصالح الدول لصالح ليبرالية تدخلية تتميز بإرادة إصلاح النظام الدولي، أشهر دعاتها :

جون هوبسون John Hobson 1848-1940

يرى أن الوسيلة التي تمنع استعمال القوة ليس فوائد التبادل التجاري الحر الذي لا يمكن لجميع الدول الاستفادة منه إلا في حالة وجود حكومة و دولة كهيئة للمراقبة والتنسيق ، مع القضاء على الحواجز التي تعيق التبادل والحد من دور الصدفة

ألفريد زيمان Alfred Zimmen (1879-1957)

اعتقد أن زيادة عدد الدول الديمقراطية غير قادر لوحده على المساهمة في اتساع منطقة السلام الديمقراطي لوحده على شرط أن نكون أمام رأي عام ونخب مستنيرة بفضل تعليمها الذي تحصلت عليه. كما اقترح تعليم الأفراد وصناع القرار بإنشاء مكتبة دولية للاستعارة تسمح للعائلات ذات الدخل المحدود للحصول على الكتب الغالية الثمن.

ودروو ويلسن W.Wilson 1856-1924

وضع أربعة عشر بند لتحقيق السلام وتدور موضوعاتها الأساسية حول المساواة في السيادة بين الدول،حق الشعوب في تقرير مصيرها، الابتعاد عن الدبلوماسية الليبرالية ،تحرير التجارة ، حرية البحار، وضع حد للسباق نحو التسلح، ، دمقرطة الأنظمة الأوتوقراطية والعسكرية، إقامة نظام للأمن الجماعي بإيجاد مؤسسة دولية تقوم بتنظيم الفوضى الدولية عصبة تحتكم على القوة العسكرية لردع العدوان .

الليبرالية المؤسساتية

ظهرت في نهاية الأربعينات، و تخلت عن المعيارية والتوجيهية أي على ما يجب أن يكون خاصة بعد فشل عصبة الأمم، ونادت بضرورة بناء مؤسسات دولية تقوم بمجموعة من الوظائف التي لا تستطيع الدول القيام بها في ظل نظام دولي فوضوي ، الدول فواعل أساسية متنافسة وعقلانية ووحدوية، من أهم دعاتها دافيد ميتراني D.Metrany وإرنست هاس Earnest Haas.

اعتبرا تطور العلاقات الدولية و تنويع التكنولوجيات،المنتجات والاتصالات سيؤدي إلى تبادل تقني متزايد عابر للحدود ،فالدول لديها مهام تقنية لا يمكن تقوم بها لوحدها، فإن التعاون التقني هو الذي يمكن أن يضمن المصالح المشتركة التي تحتاجها الدول والشعوب . وهذا التعاون الوظيفي تقوم به منظمات تقنية دولية، ويكون حول وظائف تقنية وقطاعية يتم اختيارها وتنظيمها بشكل منفصل حسب الحاجة الظرفية .تنشأ روابط بين مختلف الوظائف والتي تعمق التعاون وتطوره عن طري التفرع (ramification) يؤد ي الانتشار إلى القضاء على الاختلال الاقتصادي والاجتماعي بين الدول ويشجع السلام والاندماج .

أحد منظري المدرسة الإنجليزية هدلي بول Hedlly Bull 1977 رأى أن المجتمع الدولي يتكون من وحدات مستقلة متنافسة مما يؤدي إلى حالة الفوضى الدولية ، فالبنية الفوضوية للعلاقات الدولية تمنع من تكوين مجتمع دولي ، ففي هذا المجتمع عندما تعي وتدرك الدول بعض المصالح و القيم المشتركة فإنها ستشعر أنها مرتبطة مع غيرها من الدول بمجموعة من القواعد الموحدة الناجمة عن علاقاتها المتبادلة وبالتاي فستعمل على إنشاء مؤسسات موحدة تسهر على حسين سيرها . فالدول فواعل عقلانية قادرة على فهم واحترام القوانين التي تحمي المصالح المشتركة للأفراد والحكومات.

الليبرالية التعددية (العابرة للدول)[12]

طرحت التعددية بحلول السبعينات تحديا مهما لمنظري الليبرالية بظهور أطراف جديدة إلى جانب الدولة وأهم دعاتها:

جون بورتون John Burton

اعتبر أن الدولة ليست الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية بل الأفراد التي تشكل تعاملاتهم وتفاعلاتهم شبكة من الاتصالات تشبه شبكة العنكبوت تمتد كامل مساحة الكرة الأرضية . وللوصول إليه يجب إخماد أسباب النزاعات الاجتماعية التي تمتد أثارها إلى بقية الدول الأخرى بسبب الاعتماد المتبادل، وأن استقرار المجتمع العالمي مرتبط ومرهون بتلبية حاجيات الأفراد داخليا هذه الحاجيات تختلف .فعدم رضا الأفراد داخل المجتمع الداخلي سيتم التعبير عنه على المستوى العالمي ، كالهجرة الغير شرعية من الجنوب إلى الشمال التي هي عبارة عن عدم تواون بين العرض والطلب على العمل ،فلا يجب الرد عليها بالقمع .

جوزيف ناي وروبرت كيوهان Joseph Nye et R obert Keohaane

نوها في كتابهما Power of Interdependance إلى كون الدولة ليست الفاعل الوحيد في العلاقات الدولية بل هناك فواعل غير حكومية كالشركات المتعددة الجنسيات، البنوك، المنظمات الاجتماعية والسياسية، تأثيرها متزايد ويهدد قدرات الدول نفسها على التصرف بشكل مستقل في العلاقات الدولية. كما اعتبر أن أهداف الدول لا تقتصر على البحث على القوة العسكرية الرفاهة الاقتصادية، و التطور التكنولوجي، بسبب الاعتماد المتبادل المعقد بين الدول. وأن التمييز في السياسة العالمية بين

[12] ***Ibid***.,pp.175-200.

السياسة الدنيا والسياسة العليا غير سليم وأن اللجوء إلى القوة العسكرية لحل النزاعات الدولية قليل الاحتمال ولكنه ليس معدوم ، و هو أقل أهمية مقارنة بالخيار السياسي .

اعتبرا أن السياسة الخارجية نشاط عقلني هدفها تحقيق المصلحة الوطنية التي يعتبر أنها عملية الموازنة الدائمة بين الضغوطات الداخلية والعوائق والصعوبات الخارجية. و هناك أربعة مجالات للاعتماد المتبادل التجارة، المعلومات، التدفقات المالية وحركة الأفراد و الأفكار. فلا يمكن للدول أن تقتصر على تطوير قوتها العسكرية، بل يجب أن تكيف قوتها مع إطار عام و جديد، وهو ظهور قوة غير مباشرة القوة الناعمة القائمة على أسس الثقافية، القيم السياسية الأخلاقية، والمقصود بها قوة الجذب والإقناع. أي دفع الآخر أن يفعل بنفسه ما تريده وذلك من خلال نشر القيم الديمقراطية، الليبرالية،.... وتقوم قوة الجذب حسب ناي على الموارد الثابتة كالصورة، السمعة الايجابية بفضل النتائج الاقتصادية، والعسكرية القدرة على الاتصال ، حرية انفتاح المجتمع ، مثالية سلوكها (سياساتها الداخلية، أسلوب سياستها الخارجية،قدرتها الثقافية(أفكارها الدينية ،السياسية،الاقتصادية، الفلسفية)تفوقها العلمي والتكنولوجي، مكانتها في إطار المنظمات الدولية ، و استخدام القوة العسكرية عندما تكون مستعدة لذلك.

المدرسة الليبرالية الجديدة[13]

تعبر عن الحماسة التي استقبل بها الليبراليون نهاية الباردة بعد النجاح الذي حققته الدول الغربية بزعامة الولايات المتحدة وزوال الاتحاد السوفيتي، وتركز على الدور الذي تقوم يه المؤسسات الدولية في الحصول على مخرجات جماعية دولية ،وترى أن الدول جهات فاعلة ووحدوية، وعقلانية وتسيطر على الشؤون العالمية .وتفترض إمكان تحقيق الفوائد من خلال ابتكار تدابير مؤسسية أكثر فعالية ، فلديها إيمانا أكبر نسبيا بقدرة البشر على القيام تدريجيا بتعزيز الحرية، والسلام، والازدهار، والعدالة على نطاق عالمي. ويمكن تصنيفاها تصنيفها إلى ثلاثة اتجاهات :

أ- الليبرالية الدولية الجديدة

نظرية السلام الديمقراطي القائمة على إحياء النموذج الكانطي من أشهر دعاتها دين بابست ودفيد سنجرD.Singer، و رودلف رومل R.Rummel، والمقاييس الكمية التي وضعها كتاب مشهوريين مثل بروس روسيت و جون أونيل أوتلك ذات الطابع الفلسفي التي وضعها مايكل دويل Michael Doyle

[13] سميت و بايلس، ***مرجع سابق***، ص ص.329-342.

"بأطروحة السلام الديمقراطي أو "السلام المنفصل " يرى أن الدول الليبرالية لا تتحارب فيما بينها وأنها عدوانية مع الدول الفاشية وتلك التي ليس لديها دول . ويسوق أنصار هذه النظرية لتبريرها بدل التفسير الذي قدمه كانط و مفاده أن قرار الحرب يتخذه الشعب في الدول الليبرالية ، عوض الأمير في الدول الغير ديمقراطية مايلي:

– إن الدول الليبرالية في الأغلب مكاسبها قليلة وخسارتها أكبر جراء الانخراط في الحرب من خسارة الدول الفاشية. و توضح الإحصائيات أن في الفترة الممتدة مابين 1861–1991 وجدت 355 حربا لم تكن حروب بين دولتين ديمقراطيتين، في حين 155 منها بين طرف ديمقراطي وغير ديمقراطي، و198 بين دول غير ديمقراطية .

– ابتهج فرانسيس فوكوياما عام 1989 في مقالة بعنوان نهاية التاريخ بانتصار الديمقراطية على جميع الإيديولوجيات الأخرى ، وجادل أن الدول الليبرالية أكثر استقرارا داخليا و أكثر مسالمة في علاقاتها الدولية فما هي الأدوات المتاحة لنشر القيم الديمقراطية و توسعة منطقة السلام ؟ أولا –عن طريق التدخل الإنساني الذي يعتبره هدلي بول مؤدي لمزيد من الفوضى ، استعمال الدول القوية الضغط من خلال – ثانيا عن طريق المذهب المؤسساتي كوسيلة لضم الدول الغير الليبرالية للانضمام إلى المؤسسات و ثالثا عن طريق الإشتراطية أي إتباع سياسات تمليها الدول الليبرالية مقابل مزايا اقتصادية ، قروض، و استثمارات، الخوصصة ، وأيضا الحكم الصالح حقوق الإنسان..الخ.

المثالية الجديدة[14]

المثالية الراديكالية

يعد دفيد هالد D.Held من أشهر دعاتها ، فالسلم ليس حالة طبيعية بل هو وضع يجب إقامته وبناءه ، فالإصلاح يجب أن يتم على الصعيد الدولي فالمؤسسات الدولية مثل الدول بحاجة إلى أن تصبح أكثر ديمقراطية ، من خلال إيجاد برلمانات إقليمية مثل الاتحاد الأوربي ، غرس حقوق الإنسان في البرلمانات الوطنية ومراقبتها من قبل محكمة دولية جديدة معنية بحقوق الإنسان ،إصلاح منظمة الأمم المتحدة وا استبدالها ببرلمان عالمي وديمقراطي يخضع للمسائلة وهذا ما يعرف بالتغيير من الفوق .

[14] ***المكان نفسه.***

- أما ريتشارد فالك R.Falk رأى انه يجب إشاعة الديمقراطية على صعيد القواعد الأساسية فالمجتمع المدني العالمي ينطوي على قوة تجريبية ضخمة الحركات الاحتجاجية والمنظمات الغير حكومية ما يعرف بالتغير من الأسفل.

الانتقادات الموجهة للنظرية الليبرالية [15]

1- اعتبر إدوارد كار أن الليبراليين شوهوا تقنية التحليل العلمي باهتمامهم بما يجب أن يكون ، فأهدافهم طوباوية خيالية لا يمكن تطبيقها في الواقع.
2- انهيار العديد من المفاهيم والفرضيات المثالية كعجز الرأي العام في الحفاظ على السلم ، والتناسق والتناغم في المصالح القومية، ومبدأ الأمن الجماعي ، بسب تناقض المصالح مما عرض الأمن والسلم الدوليين للخطر.
3- سيطرة الدول الكبرى على إدارة المنظمات الدولية .
4- غياب سلطة مركزية تسهر على تطبيق الشرعية ، فلا يمكن أن يوجد القانون الدولي إلا إذا وجد هناك تكافؤ وتوازن في القوة بين أعضاء الأسرة الدولية.
5- التناقض بين المصالح القومية، ومبدأ الأمن الجماعي.

النظرية الواقعية والواقعية الجديدة .

تعد النظرية الواقعية الأكثر هيمنة على حقل الدراسات الدولية، وظهرت رسميا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية كردة فعل على المدرسة المثالية وانتقادا لها، بسبب فشلها في منع قيام كارثة عالمية ثانية. وتستمد الواقعية الكلاسيكية مبادئها من أفكار بعض المفكرين الذين وصفوا بالمتشائمين أمثال تيوسيديد Thuicidide ،توماس هوبز Thomas Hobesميكافيلي ،Michavele، و لقد كان إصدار الليبرالية لوصفات من أجل تهدئة العلاقات بين الدول عن طريق الاعتراف بالمصالح المشتركة لم يكن كافيا ، والتركيز على الرأي العام لا يصلح لأنه يتغير بشكل سريع ولا يمكن اعتماده مرشدا لإحلال السلم والأمن، ورفض الواقعيون وجود تناسق طبيعي بين مصالح الدول المختلفة ورأوا أن مصالح الدول تتضارب إلى درجة تقود إلى الحرب ، وأن الإمكانيات المتوفرة لدى الدولة تلعب دورا هاما في تحديد نتيجة الصراع

15

الدولي وقدرتها للتأثير على سلوك الآخرين (قدرات عسكرية ، عدد السكان،الموارد الطبيعية ، العوامل الجغرافية، شكل الحكومة والقيادة السياسية والإيديولوجية)ألخ..

لم تفرض الواقعية نفسها إلا بعد الحرب العالمية الثانية ، بالرغم من ظهور الواقعيون الأوائل أمثال الجيوسياسي نيكولا سبيكمان Nicholas Speakman ، والمؤرخ إدوارد كار Edward H.carr ، ولكن الفضل يعود إلى السياسي الأمريكي هانس مورغانتو Hans Morgenthau ، الذي أعاد تنظ[16]يمها وصياغتها[17].

الواقعية التاريخية

ساهم الكثير من الباحثين قديما وحديث في تطور النظرية الواقعية في العلاقات الدولية وأشهرهم :

تيوسيديد Thucydide

يعد المؤرخ الإغريقي تيوسيديد من أكبر من واضعي مبادئ النظرية الواقعية في القرن الخامس قبل الميلاد ، لم يعمل على صياغتها بشكل محدد لكنها مضمرة في خطاباته حول الأحداث التي يرويها ويعلق عليها أشهرها "الحروب البيلوبونيوية "التي جرت بين القوتين العظميين أثينا وإسبارطة. وتقوم قناعته الرئيسية على استمرارية حالة الحرب. وسبب تعقيدها هو ناجم عن الطبيعة البشرية أولا، ودور القادة، والنظام السياسي الداخلي ، وعن ترتيب القوى ، فالقوى تطغى على الأخلاق، واستخدام القوة أو التهديد باستخدامها يتفوقن على المبادئ القانونية كالحق في الاستقلال (السيادة).

نيوكولا ميكافيلي

دافع على مجموعة من الحقائق الثابتة والتي تسمح لزعماء الدولة بأن يخضعوا البيئة الخارجية لسيطرتهم ، وأكد على حاجة الحاكم لتبني مقاييس اخلاقية تختلف عن تلك التي يتبناها الفرد العادي ، وذلك لضمان بقاء الدولة وأمنها، كما أن اهتمامه بالقوة واعتقاده بأن السياسة هي تصارع على المصالح، ثم تشاؤمه تجاه الطبيعة البشرية كل هذه الامور جعلته يحتل مكانة بين الواقعيين.

توماس هوبز Thomas Hobes

16

17 Battistella ,***op.cit***.,p.113.

رأى على غرار ميكافيلي أن القوة عامل حاسم في السلوك الإنساني، و العهود والمواثيق التي لا تظللها السيوف ليست إلا كلمات لا طاقة لها على حماية الإنسان" وأكد على دور المؤسسات السياسية لتنظيم القوة ومنع الصراع ووهو أقرب إلى دعاة الحكومة العالمية منه إلى الواقعيين .

الواقعية الكلاسكية

نيبور رينهولد Neibur Reinold 1892 -1971.[18]

اعتبر عالم اللاهوت البروتستانتي رينهولد نيبورزفي كتابه انسان اخلاقي ومجتمع لا أخلاقي Moral Man and Immoral Society أن السياسة صراع من أجل القوة وتعود جذورها إلى الطبيعة البشرية الأنانية وحب التملك، يريد الإنسان تجاوز قدراته مما يودي إلى تحطيم السلام بين المجتمع.

إن الأفراد لا يطيعون القانون إلا لأنه في المحصلة النهائية مطابق لأفكارهم عن العدالة حيث أن قوة الإكراه ما زالت في حدودها الدنيا فإن الدعوات إلى حكومة عالمية لن تؤتي ثمارا ...إن توازن القوى يمثل الأداة التنظيمية لتحقيق الحد الأدنى من العدالة وعندما ينتفي التوازن في القوى الاجتماعية فلا يمكن لأية دعوات أخلاقية أو عقلانية أن تحقق العدالة .

إدوارد كار [19] Edward H.Carr

اعتبر السياسة في كتابه أزمة سنوات العشرين 1919-1939هي دائما سياسة قوة ، وهي وسيلة وغاية. لم يتساءل حول سياسة القوة هذه ما هو مصدرها هل هي الطبيعة البشرية أم الفوضى السائدة في النظام الدولي .

هانس مورغانتو Morgenthau 1904-1980

حاول في كتابه السياسية بين الأمم Politics Among Nations The Struggle of Power and Peace عام 1948 وضع نظرية وتفسير سلوك الدول، وذلك بتقييم والتنبؤ بالسياسات الخارجية لمختلف الأمم. لقد قدم ما اعتبره الست مبادئ في الواقعية السياسية[20] وهي :

[18] دوروتي و بالستغراف، ***مرجع سابق***،ص ص.63-65.

[19] Battistella ,***op.cit***.,p.113.

1- إن السياسة والمجتمع بصفة عامة محكومان بقوانين موضوعية تعود جذورها إلى الطبيعة البشرية وأية محاولة لتحدي هذه القواعد تحت أية ذريعة لن يكون نتيجتها إلا الفشل. ويفترض في أي محاولة لبناء نظرية سياسية دراسة التجارب التاريخية وتحليلها بشكل عقلاني لاستكشاف الأنماط المتكررة في السلوكية الدولية

2- يعتبر مفهوم المصلحة أداة تحليل رئيسية في الواقعية السياسية لفهم السياسة الدولية . وتعرف المصلحة دائما بلغة القوة. والسياسة الدولية هي عملية تسوية المصالح القومية المختلفة إنها تفترض صراعا مستمرا وتهديدا مستمرا بالحرب ، يساهم العمل الدبلوماسي في تقليل احتمالاته من خلال التسوية المستمرة للمصالح المتعارضة .

3- يوافق مورغانتو على أن معنى المصلحة هو القوة وهو معنى غير ثابت. وفي عالم تسعى فيه الدول ذات السيادة لامتلاك القوة، تصبح المصلحة القومية هي البقاء اي وحدة أراضي الدولة ومؤسساتها حتى تسعى إلى مصالح أخرى .

4- يرفض تطبيق المبادئ الأخلاقية على سلوك الدول بل يدعو إلى تنقية الأخيرة من الأولى . فالدول تحكمها أخلاقية تختلف عن أخلاقية الأفراد والنتائج السياسية لسياسة معينة هي في الحقيقة معيار الحكم على هذه السياسة .

5- يؤكد مورغانتو على أن القيم الأخلاقية العالمية غير متطابقة مع التطلعات الأخلاقية أو المعنوية لدولة معينة بالرغم من محاولة كل دولة أن تصور قيمها ومبادئها أنها مطابقة لها.

6- تركز الواقعية السياسية على استقلالية المجال السياسي كمجال مختلف عن المجالات الأخرى .فالسياسي يسأل كيف توثر هذه السياسة على قوة الدولة .

تهدف الدول في سياستها القائمة على الصراع من أجل الحصول على القوة، أولا الحفاظ على القوة أي الحفاظ على الوضع القائم ويضع مثال عنها مبدأ مونرو والمعاهدات التي يتم التوصل عاليها بعد نهاية الحروب.، ثانيا وسياسة تسعى إلى زيادة القوة تحقيق توسع إمبريالي لتحقيق تفوق محلي أو إقامة إمبراطورية قارية أو هيمنة عالمية وتلجا لتحقيق ذلك إلى القوة العسكرية أو الوسائل الاقتصادية والثقافية ، وأخيرا سياسة تهدف إلى التظاهر بالقوة وتحقيق النفوذ تلجأ إليها السياسة الأولى والثانية، وتعتمد على أسلوبين الاحتفالات والمراسيم الدبلوماسية و عرض العضلات وتنجح عندما تكون الدولة التي حققت هذه السمعة لا تحتاج إلى استخدام القوة فعلا.

---

[20] ***المرجع نفسه***،ص ص. 68-74.

وينبع عن هذه المبادئ مجموعة من المبادئ الثانوية :

1- اعتبر الدولة الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية بسبب تمتعها بعنصر السيادة ، و تتبع المنظمات الدولية مباشرة من إرادة الدول، فهي فواعل ثانوية غير مستقلة ، تابعة ودورها لا يكون فعال إلا بواسطة الدول .

2- التمييز بين السياسة الخارجية hight politics والسية الداخلية low politics ، فالسياسة الخارجية ليست مرآة للسياسة الداخلية باعتبار أنها تحكمها القوانين الداخلية، أما السياسة الخارجية فتحكمها الفوضى النابعة عن سيادة الدول التي بإمكانها أن تعتمد على نفسها لتحقيق القانون والعدالة.

3- غياب سلطة عليا قادرة على تنظيم العلاقات بين الدول، فالنسق الدولي يتميز بحالة من الفوضى، والصراع المستمر للسيطرة .

4- في هذا النسق الفوضوي الدفاع عن المصالح الوطنية المعرفة بالقوة يعد مفتاح لفهم سلوك الدول على المستوى الخارجي .

5- تتبع الدول نفس التفكير مما قد يودي إلى الحرب التي هي ليست غاية في حد ذاتها بل وسيلة في يد صناع القرار للوصول إلى أهدافهم.

6- يسمح توازن القوى في هذا السياق (لعبة التأثير المتبادل بين مختلف الفواعل الدول أو تحالفات الدول) الحفاظ على النظام ويمنع وقوع الحروب المحتملة وحتى وإن كان هذا التوازن لا يمكن أن يحقق سلام دائم إلا أنه يسمح باستقرار كبير للنظام الدولي .

ريمون أرون Raymond ARON 1904-1983[21]

حاول وضع نظرية تفسيرية للعلاقات الدولية في كتابه السلام والحرب بين الأمم Paix et Guerre Entre les Nations(1962)، واعتبر أن الطبيعة البشرية ليست العامل الوحيد لتفسير سياسة القوة، فحالة الطبيعة التي يوجد فيها النظام الدولي غياب قوة القهر المادي على المستوى الدولي أدى إلى احتمالات الحرب. كما أكد على استحالة الوصول إلى نظرية عامة في العلاقات الدولية لأن النظام الدولي مرتبط بالوضع الداخلي للوحدات التي تكونه ، لذلك ربط السلوك الخارجي للدولة بالمطالب المجتمعية التي تنعكس في طبيعة النظام الدولي. ويوافق على أن العلاقات بين الدول تتسم في الغالب

[21] Battistella ***op.cit***.,pp.121-123

بسمة الصراع وإن كانت العلاقات تتضمن كلا من الحرب والسلام نتيجة مشاطرة الوحدات السياسية الموجودة في العلاقات الدولية بعضها البعض حالات العداء أو الود أو الحياد أو ربما اللامبالاة . و لا يتضمن مصطلح المصلحة الوطنية متغير واحد، فالمصلحة تختلف باختلاف الظروف و الرهانات، والوسائل والغايات من السلوكيات الدبلوماسية والإستراتيجية. ويرى أن أهداف السياسة الخارجية هي القوة، الفكرة، فلقد ميز بين ثلاثة أنواع من حالات النزاع المال، الأمن، الشهرة. كما يرى أن الوحدات السياسية لا تسعى لامتلاك القوة كغاية في حد ذاتها، وإنما كوسائل لتحقيق بعض الأهداف كالسلام أو المجد أو من أجل التأثير في مستقبل النظام الدولي. وإن ميزان القوى ليس وحده هو الذي يحدد سلوك الدولة الخارجي بل الأفكار والمشاعر ، المصالح الخاصة لمختلف الطبقات، ويقدم أرون نموذجين للنظام الدولي تسعى فيها الدول تحقيق هذه الأهداف:

- النظام المتجانس : تحمل الدول نفس المفاهيم السياسية والقيم السائدة في النظام (توافق بين المبادئ المعلنة وتلك التي تقوم عليها الدولة)، تحدث منازعات داخل النظام لكن لا يكون معرض للخطر .
- النظام الغير متجانس: تحمل الدول فيه لمبادئ مختلفة وتسعى لتحقيق قيم متناقضة معه، والصراعات على طبيعته . إضافة إلى هذا التصنيف ميز بين نوعين من الأنظمة النظام الثنائي القطبية و المتعدد الأقطاب. ويرى أن في القرن التاسع عشر ساد نوعين النظام التعددي القائم على التوازن والتجانس، أما في القرن العشرين فقد ساد النظام الثنائي القطبية القائم انعدام التوازن والانسجام. و فضل أرون النظام التعددي الأقطاب المنسجم المستند على القانون و النظام.

الواقعية الجديدة أو البنيوية

ظهرت هذه النظرية مع نهاية السبعينات نتيجة التراجع الكبير الذي عرفته الواقعية الكلاسيكية جراء زيادة ظاهرة الاعتماد المتبادل ، والدور الكبير الذي أضحت المنظمات الدولية تلعبه في النظام الدولي، الذي اتسم بسياسة بالتعاون و الانفراج بين المعسكرين الشرقي والغربي. لقد أقرت الواقعية البنيوية أن السياسية الدولية هي مرادفة لسياسة القوى، وأن ميزان القوى آلية ضرورية لإحداث السلم والأمن غير أنها اختلفت عن الواقعية الكلاسيكية في لماذا تريد الدول القوة ؟ ففي حين نجد للطبيعة البشرية علاقة ضئيلة بالسبب الذي تريد الدول امتلاك القوة .في حين أن بنية النظام الدولي هي التي تجبر الدول على السعي إلى الحصول على القوة. وفي نظام يفتقر إلى وجود سلطة عليا على الدول

العظمى، يقوم على أساس ما إذا كانت الأغلبية من الوحدات السياسية تتكتل حول دولتين لهما قوة كبيرة أم أن بين الأنظمة من حيث إذا كانت الأغلبية من الوحدات السياسية يمكن ذكر أهم المبادئ [22]التي :

1- القوى العظمى هي الجهات الفاعلة الرئيسة في السياسة العالمية، و أنها تعمل ضمن منظومة فوضوية (anarchie system)، وهذا لا يعني حالة le chaos او هي تعني ببساطة غياب سلطة مركبة فوق الدول .

2- تمتلك جميع الدول قدرة عسكرية هجومية معينة وتختلف من دولة إلى أخرى ومن وقت إلى أخر.

3-لا يمكن للدول أن تتيقن من نوايا الدول الأخرى. أي معرفة هل عازمة على استخدام القوة لتغيير توازن القوى أو أنها راغبة في الحفاظ على الوضع الراهن.

4- الهدف الرئيسي للدول هو البقاء فالدول تسعى إلى الحفاظ على سلامة أراضيها وعلى استقلال نظامها السياسي المحلي، تم إلى تحقيق أهداف أخرى كالازدهار و حماية حقوق الإنسان.

5- الدول هي أطراف فاعلة عقلانية، وهذا يعني أنها قادرة على ابتكار استراتجيات سليمة تضخم من احتمالات بقائها. وهذا لا يعني أن الدول قد تخطئ التقدير من وقت إلى أخر.

كينيت والتز Kenneth Waltz [23]

حاول إعادة تكييف النظرية الواقعية مع التطورات التي عرفتها الساحة الدولية في نهاية السبعينات استجابة للانتقادات السلوكية. ففي كتابه نظرية السياسة الدولية الذي يعد قاعدة الأساس بالنسبة للواقعية البنيوية انطلق أن الطبيعة البشرية لا يمكنها تفسر حالة الفوضى وإلا فكيف نفسر فترات السلم الطويلة التي نمر بها ؟ إن بنية النظام الدولي هي محدد لسلوك الدول المختلفة، واعتبر أن الحرب هي نتيجة للنظام الفوضوي الذي يتميز بغياب سلطا عليا يمكن للدول أن تلجأ إليها أثناء الأزمات" توجد الحرب لأنه لا يوجد من يوقفها إضافة رغبة الدول في البقاء ، لا يترك لها خيارا سوى التنافس فيما بينها من اجل القوة. ولا يمكن للدول أن تحقق أمنها إلا بالاعتماد على نفسها ، وهذا السعي سيخلق سلسلة متصاعدة من حالة عدم الأمن وهذا ما أسماه بالمعضلة الأمنية ؟ يتم حل هذه المعضلة من خلال ميزان القوى الذي سيبرز حتى في غياب سياسة واعية ترمي للحفاظ علية مثل ما يقوله التقليديون، وأن التوازن العرضي الذي يقوم من خلال التفاعلات والمعاملات بين الدول تماما على غرار التوازن الذي يحدث

[22] تيم دان ميليا كوركي ، ستيف سميت ، ***نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع***،ترجمة: ديما خضرا (بيروت:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص ص.216-2018.

[23] Battistella ***op.cit***.,pp.

داخل السوق بين الشركات، لكن هذا التوازن يجب تدعيمه والحفاظ عليه من خلال الدور الذي يقوم به زعماء الدول والدبلوماسيين فهو وضع يجب أن يبنى بناءا(وضع نماذج لأحكام ومعايير وإجراءات كالتي جسدتها ال GATT حتى تصبح الدول أكثر اطمئنان بأن الدول الأخرى سوف تعمل وفق تلك الأحكام أن تلك التي تعمل وفق الدول التي تخرج عنه فإنها ستخضع للعقاب). تتغير بنية النظام الدولي بتغير في توزيع القدرات المادية بين وحداته وتتوقف بنية النظام على عدد القوى العظمى التي تشكله مثل ما يحدث في السوق مع الشركات الاحتكارية فهي تنظم السوق وتحدد سلوكيات بقية المؤسسات التي تبحث جميعها إلى زيادة الأرباح فالدول الكبرى تنظم النظام الدولي وتحد بالتالي من حالة الشك وعدم اليقين الناجم عن حالة الفوضى .و يطرح والتز التمييز بين التوازن (balancing)وتحالفات الالتحاق بالركب اتحاد القوى العسكرية للدول مع دولة صاعدة تربح (bandwagoing) الحروب وتحصل على القوة و أكد أن الدول تفضل التوازن. و جادل أن كلما كان عدد لدول الكبرى أقل استقر النظام فالثنائية القطبية أفضل من التعددية القطبية لكنه تساءل حول القدرات المادية للاتحاد السوفيتي في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية.

روبرت جيبلين [24] Robert Giplin

أصدر جيبلين بعد عامين من نشر كتاب كينيت والتز Warand Changein International Politics الحرب والتغير في السياسة الدولية يعكف عرض أسباب التوزيع غير المتكافئ لقدرات القوة ، وهو ما لم يشرحه والتز واكتشاف شروط التغير الشامل. يكمن الفرق الأول بينه وبين والتز أن في كون الدولة تحالف ناجم عن التسويات بين مختلف التحالفات والنخبة السياسة في المجتمع. و ثانيا أن بنية النظام الدولي ليست كلا مستقل ومطلق يتحكم في تشكليه العمل المشترك للقوى المهيمنة فيه. ويعرف النظام "بأنه مجموعة من الكيانات المختلفة التي يوحدها تفاعل منتظم يتخذ شكل الرقابة " . وتعد الدول عند جيبلين فواعل رئيسية بالرغم من وجود فواعل أخرى عابرة للدول يمكنها لعب دور مهم في ظروف أخرى . و يغلب على النظام الدولي حالة الصراع المستمر من أجل الثروة والقوة بين فاعلين مستقلين يعيشون في حالة من الفوضى في وجود رقابة نسبية يقوم بها الفاعلون الرئيسيون في كل مرحلة. واتخذ النظام الدولي ثلاثة أشكال:

النظام المهيمن أو الإمبراطوري والذي تهيمن فيه دولة واحدة على بقية الفاعلين وقد تميزت به العلاقات الدولية بشكل كبير حتى الفترة الحديثة.

[24] جيرار ديسوا، دراسة في العلاقات النظريات البيدولتية الجزء الثاني ، ترجمة قاسم المقداد (دمشق: دار نينوى 2015)،ص ص.119-124.

– النظام القائم على الثنائية القطبية : تبقى مدته قصيرة إلى حد ما.

– النظام القائم على ميزان القوى : تقوم فيه ثلاث دول أو أكثر بالرقابة عبر مناوراتها الدبلوماسية وتحالفاتها.

ويرى جيبلين أن ثمة محددين من شأنهما التحكم في الأشكال الثلاثة للنظام وتوزيع القوة بين الدول إضافة إلى ذلك الهيبة والتي تعني وجود نظام نوعي تتبعه مجموعة من الدول دون اللجوء إلى نوع من الإكراه. ويعتقد أن التاريخ سلسلة من الدورات دور الولادة، التوسع ، واحتضار القوة المهيمنة . وقد وضع نظرية لتغير الأنظمة عن طريق مبدأ الصراع بين القوة الصاعدة والقوة النازلة ascendante descendante حيث اعتبر أن القدرات العسكرية للقوة المهيمنة تقوم على القوى الإنتاجية التي تسمح لها بوضع القواعد المنظمة التي تخدم مصالحها ومصالح حلفائها ، لكن خاصية القوى الإنتاجية أنها تنمو بشكل غير عادل حيث تنقلب العملية لأن المكانة المهيمنة تستلزم أعباء وتكاليف تتم على حساب النمو الاقتصادي ، فاختلاف معدلات النمو ستكون لصالح القوى الثانوية التي ستتحدى القوى المهيمنة في مرحلة ما عندما تعتبر أن النظام لا يحقق لها الأرباح اللازمة فتحدث حرب من أجل الهيمنة وإقامة نظام دولي جديد وسيكون على رأس هذا النظام الجديد إما القوة المتحدية أو واحدة من حلفائها مثال ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا التي تحدثها ألمانيا. وهكذا قانون النمو الغير عادل سيستمر في توزيع القوة مهددا دائما النظام القائم فعدم التوازن يهدد التوازن .

الانتقادات الموجهة للمدرسة الواقعية[25]

1– يعد مفهوم المصلحة القومية متغير رئيسي عند الواقعيين فلا يمكن دراسة السياسة الخارجية بدونه، غير أنه من الصعب إعطاء معنى لهذا المفهوم فكل قائد سياسي يعطيه معنى مغاير وهو حسب ستانلي هوفمان يختلف أثناء حالة الاستقرار ر وفي حالة ما تكون الدولة في خطر .

2– يعاب على الواقعيين المغالاة في استخدام مفهوم القوة ، فهي هدف، غاية، ووسيلة ، ثم كيف نحدد هذه القوة ونفسيها .

3– تعود الواقعية إلى التاريخ لبناء فرضياتها، فاستخدام مفاهيم سياسية من الماضي ومحاولة تطبيقها على النظام الدولي المعاصر .

[25] دوروتي وبالستغراف، ***مرجع سابق***، ص ص.95-97.

4- يحمل ميزان القوى عدة معان سياسية من جهة يستهدف تحقيق أهداف معينة، ومن جهة أخرى يعبر عن حالة واقعية توزيع متساو للقوى ، البحث عن الهيمنة .

لا تؤمن الواقعية بإمكانية تجاوز حالة الفوضى إلا بقيام إمبراطورية عالمية. والتقدم التكنولوجي يضاعف فرص الفوائد المشتركة لكنه يزيد أيضا وسائل الصراع السياسي .

النظرية الماركسية والماركسية الجديدة[26]

الماركسية والماركسية الجديدة هي تلك النظرية التي ترفض وجهة النظر الواقعية و الليبرالية للصراع والتعاون الدولي، وتركز بدلا من ذلك على الجوانب الاقتصادية والمادية والتي تهدف إلى الكشف على أهمية العامل الاقتصادي على العوامل الأخرى السياسية ، الثقافية ، الاجتماعية ، وهي ترفض على وضع الاقتصاد ضمن ما عرف عند الواقعيين بالسياسات الدنيا .

تعرف الماركسية بالنظرية الراديكالية نظرا إلى كونها تهدف إلى تغيير النظام .لم ينتج من كارل ماركس وإنجلز نظرية للعلاقات الدولية بل أنهما كانا ينظران إليها على أنها إيديولوجية يقوم عليها النظام السياسات الخارجية للدول. كما وصفت الماركسية بأنها أفكار خاطئة وجد معيارية وأنها سياسات مخربة .اهتم كارل ماركس بالقضايا الدولية فكتب ما لا يقل عن 200مقالة حول المشاكل الدولية لكن الظرف الذي كان يكتب فيها كان السلام النسبي سائدا على المسرح الأوربي، وكان الصراع على مستوى العلاقات الاجتماعية (الثورة الصناعية) لذلك كانت الأولوية للعلاقات بين الطبقات وتحليل السياسة الدولية من خلال تأثيرها على تسريع الثورة.

النظرية الماركسية

يعتقد الماركسيون أن النظام الرأسمالي الاستغلالي هو الذي يحدد ويفسر السلوك على المستوى الدولي فالعديد من النظريات التي تستند إلى الماركسية كالنظرية النسوية التي ترى جذور الاضطهاد ضد النساء موجود في النظام الرأسمالي الاستغلالي ، والنظرية البنائية الاجتماعية هي تستمد جذورها من النظرية الماركسية .

يرى الراديكاليون أن التحليل التاريخي الجوهري فتاريخ العملية الإنتاجية من الإقطاعية إلى الرأسمالية يؤدي إلى تطور نماذج جديدة من العلاقات الاجتماعية بين وسائل الإنتاج، والعلاقات الاجتماعية والسلطة . كما ينطلقون في تحليلهم من بنية النظام الدولي مثل ما فعله الواقعيون الجدد إلا

[26] Aziz Hasbi, Théories Des Relations Internationales (Paris : éditions L'Harmattan , 2004),p.97.

أنهم يرونه أنه يختلف عنه تماما فهو هرمي مكون من طبقات فالطبقة عند الماركسيين مجموعة من الأفراد داخل مجتمع ما يتشاركون مصالح اقتصادية(كطبقة العمال، والرأسماليون) ، فالعالم حسبهم مقسم إلى طبقات طبقة مالكة نصف الإنتاج الإجمالي العالمي(الولايات المتحدة الأمريكية، اليابان، ، ألمانيا فرنسا، بريطانيا، روسيا، الصين) ،وأخرى حوالي180دولة تشترك في النصف الأخر[27].

يعتقد معظم الراديكاليين أن هيمنة الدول الغنية على الدول الفقيرة وإعاقة نموها فبالنسبة لهم عجز النظام الدولي تسببه الرأسمالية التي تستخدم وسائل خاصة للهيمنة والاستغلال بما في ذلك المؤسسات الدولية التي تضع أسسها الدول الرأسمالية لكن أمكنة نشاطاتها في المناطق التابعة ، وحتى الأفراد وغالبا القادة أو الطبقات الاجتماعية البرجوازية الوطنية النخب تدعم هذه الشركات و تخترق الدول النامية أيضا من خلال المستشارين السياسيين والإرساليات والخبراء من أجل تعزيز الاعتماد المتبادل والاستيلاء على الموارد الطبيعية. وتعد الطبقة هي الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية وليست الدولة أو الفرد وصراع الطبقات يشكل محرك التاريخ ، ونمط الإنتاج الرأسمالي تتصارع فيه طبقتين البرجوازية المتحكمة في وسائل الإنتاج، والبروليتاريا التي لا تحتكم إلا على قوة العمل. و الدولة ماهي إلا تعبير عن مصالح الطبقة الاجتماعية المسيطرة اقتصاديا ، والسياسة الخارجية لا تهدف إلى تحقيق المصلحة الوطنية وإما تعبر عن مصلحة الطبقة المهيمنة (الحاكمة) فكلما تغيرت الطبقة الحاكمة يرافقها تغير في التوجهات والمصالح والسلوكيات، فنتيجة لذلك فإن العلاقات الدولية هي صراع دائم بين البرجوازيات الوطنية المتنافسة فيما بينها البرجوازيات تتصارع دائما ضد البرجوازيات أما العلاقات مع الدول الغير برجوازية الغير متحضرة الإنتاج فإن الحرب بالرغم من مساوئها فإنها مفيدة لها لإدخالها في النمط الرأسمالي وهي الطريقة الوحيدة للسماح لهذه الدول ما قبل الرأسمالية بالتحضر فالحروب الاستعمارية ضرورية للصراع الطبقي لان قيام الاشتراكية يفترض انتشار الرأسمالية كمرحلة أولية.

كان ماركس يعتقد أنه لا وجود لتضارب مصالح العمال في جميع الدول لذلك دعاهم " يا عمال العالم اتحدوا فليس هناك ما تخسرونه سوى أصدافكم ." أما **لينين** فكان يرى في كتابه "الإمبريالية أعلى مرحلة للرأسمالية سنة 1917 "أن الرأسمالية قد غيرت بنية الاقتصاد العالمي حيث توجد نواة مركزية مهيمنة من الدول تستغل من هم على الأطراف من المجموعات الأقل تطورا فلم يعد هناك تناغم تلقائي في المصالح بين فئات العمال كافة لأن الدول الرأسمالية في المركز تستخدم مكاسب ناتجة عن استغلال دول الأطراف لتحييد عمالها وكسب صمتهم فحسب طرح لنين فإن سلوك الدولة الخارجي يعبر عن

[27] كارين أ منغست ، و إيفان م. أريغوين، **مبادئ العلاقات الدولية** تر: حسام الدين خضور(دمشق دار الفرقد ،2013)، ص.161.

مصالح الطبقة المسيطرة اقتصاديا لكن تحده مواقع هذه الدول الطبقات ضمن بنية الاقتصاد العالمي الرأسمالي .[28] فالرأسمالية تحاول تصدير أزمتها بالتوسع الإمبريالي للحصول على المواد الآلية بأثمان رخيصة وتقوم بتوزيع الأرباح على طبقاتها العمالية لحل مشاكلها الداخلية مما سيؤدي إلى التنافس الاستعماري. و الحروب الاستعمارية جرح يجب محاربته للانتهاء مع الرأسمالية عكس ماركس الإمبريالية اتساع للصراع الطبقي على المستوى الأممي .

الماركسية الجديدة

نظرية التبعية التقليدية Dependencia school

يمكن إرجاع منظرين التبعية إلى خبراء اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية Ecla وهي من الاستقلال السياسي ولجنة أكاديمية عملت تحت إشراف مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية Unctda OGHG خلال الستينات والسبعينات من القرن الماضي وعملت على إبراز أسباب تخلف دول أمريكا اللاتينية بالرغم من الاستقلال السياسي ومن أشهر دعاتها كاردزوز Cardoso Henrique، أندريه غوندرفرنك Gunder Frank، راوول بريبيتش Raul Prebish وغيرهم.ويمكن تلخيص أهم أفكارهم فيمايلي :

1- التخلف لم يكن حالة متأصلة في دول العالم الثالث بل هو مرتبط بنشأة النظام الرأسمالي تخلف العالم الثالث نتيجة للتطور والتنمية في المركز .
2- استنزاف فائض الدول المتخلفة وتصديره إلى دول المركز الرأسمالية مع الاستعمارية ، وتواصل فيما بعد.
3- التحالف بين القوى الرأسمالية المسيطرة من الخارج والقوى الداخلية المتحكمة في داخل دول العالم الثالث .

راوول بريبيتش Raul Prebish [29]

[28] بيليس و سميث، ***مرجع سابق***، ص.268.

[29] **المرجع نفسه**، ص ص271-278.

طور فكرة لنين حول علاقات الاستغلال الذي يمارسه المركز تجاه المحيط حيث اعتبر العلاقات التجارية بين المركز والمحيط غير متكافئة.

وأن ألية التجارة الحرة على المستوى العالمي تعطل التنمية الصناعية في المحيط حيث دول المحيط تتخصص في إنتاج المواد الأولية ذات القيمة المتهاوية في حيةن دول المركز تتخصص في إنتاج المواد المصنعة الباهظة الثمن ، وأنه لا يمكن لجميع الاقتصاديات من أن تستفيد من إنتاج بعض المنتجات وأنه من غير المهم تحديد نوع المنتجات نتيجة المنافسة .واقترح حماية وتطوير نوع الصناعات المحلية لكي نسمح بتأمين الطلبات و استيراد كميات قليلة من المواد المصنعة واستيراد التكنولوجيا(الإصلاح).

أندريه غوندرفرنك Gunder Frank[30]

استعمل العبارة الشهيرة تنمية التخلف وفي كتابه الرأسمالية والتخلف في أمريكا اللاتينية 1969 ، فالعالم الثالث محكوم عليه بالركود لأن الفوائض التي يحققها تستأثر بها الدول الرأسمالية المتقدمة من خلال الشركات المتعددة الجنسيات ، وأصر على الدول النامية لن تحقق النمو إلا إذا قطعت صلاتها مع الرأسمالية وتبنت إستراتيجيات اشتراكية للتنمية (القطيعة) .

فرناندو كاردوسا وإترو فاليتو أهم مكونات التطام الرأسمالي القطاعات التكنولوجية والمالية هي حصرا ملكية للدول المتطورة، وهي حاسمة في زيادة عمق التبعية و أن علاقات التبعية بين المركز والمحيط و تختلف من دولة إلى أخرى، فهي متعلقة بالعلاقات بين الطبقات الداخلية ورأس المال المتخطي للحدود الوطنية وحكومات دول المركز، تتولى دول المركز وظيفتين للحفاظ على الاستقرار من خلال الدور القيادي الذي تلعبه لفرض هيمنتها عن طريق فرض مؤسسات معينة التي تمكن التراكم الرأسمالي (نظام بريتون وودز ، القوة العسكرية لتصحيح الاختلال و تأديب العناصر الرافضة للخضوع .

النظرية القرامشية

وجود خلل في التحليل الماركسي الثورة لم تقم في أكثر المجتمعات الرأسمالية تطورا بل تخلفا روسيا،و إن ما يحول دون الثورة في من قبل الطبقة الرأسمالية حسب قرامشي A.Gramsci في المجتمعات الرأسمالية هو استخدام القهر من قبل الطبقة الرأسمالية حسب قر امشي هذا الطرح صحيح

30

بالنسبة لروسيا ولكنه غير صحيح بفي الأنظمة الرأسمالية الأخرى فالحفاظ على النظام من خلال القهر والاسترضاء (الهيمنة الثقافية) حيث تصبح القيم والإيديولوجيات غير قابلة للمساءلة بسبب مؤسسات المجتمع المدني التي تمثل الأداة الأساسية للقهر المعنوي SOFT CORCION فتشكل فيما بعد الكتلة التاريخية الإيديولوجية التي تمنع التغيير وهي أداة للحفاظ على نمط الهيمنة داخل المجتمع المحلي أو الدولي. وهي التي تمنع التنمية وتبقي التبعية.

فالنخب الحاكمة في الدول الصناعية المتقدمة والطبقات الحاكمة في الدول التابعة هي التي تحافظ على وضع جماعي للسيطرة داخل المجتمعات المتخلفة

الإمبريالية الجديدة

اعتقدBill Warren استنتاجات لنين لم تكن صحيحة إن الإمبريالية الجديدة لعبت دورها التاريخي في تطوير وسائل النتاج بشكل سريع من جهة ومن جهة أخرى بشكل حاسم للانتقال في المستقبل نحو الاشتراكية وذلك بظهور طبقة عاملة حضرية الإمبريالية ممهدة نحو الاشتراكية وليست المرحلة العليا من مراحلها (الرعاية الصحية، التعليم، والحصول على سلع ذات الطابع الاستهلاكي).

الانتقادات الموجهة للنظرية الماركسية [31]

1)-يعمد الماركسيون إلى اختزال عملية النظام الدولي برمتها في عملية تراكم رأس المال والديناميكيات المرتبطة به، بينما يتم إهمال التفسيرات غير الاقتصادية noneconomic للإمبريالية والعلاقات بين الدول. فهذا العامل – على سبيل المثال – يعجز عن تفسير نظام التنافس بين الوحدات السياسية في الفترات السابقة للرأسمالية precapitalist (قبل القرن الخامس عشر)، إذ يمكن على سبيل المثال تفسير الحروب البولوبونيزية التي ناقشها Thucydides باستعمال المفاهيم الواقعية كالفوضى anarchy والمعضلة الأمنية security dilemma أكثر من المفاهيم الماركسية التي تركز على البعد الاقتصادي في التفسير.

2)- هناك تركيز مبالغ فيه على العوامل الدولية في تفسير الفقر والتبعية في دول المحيط، وفي المقابل يتم إعطاء دور أدنى للمتغيرات المحلية، وهو ما يدفع بالماركسيين – خاصة أصحاب نظرية التبعية – إلى توجيه اللوم لدول الشمال

[31] Viotti (Paul R.) & Kauppi (Mark V.), ***International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism***, and Beyond (USA: Allyn & Bacon, 3rd Edition, 1999), P 357.

المصنعة على أنها المتسببة في أية مشكلة اقتصادية، سياسية أو اجتماعية تواجهها دول العالم الثالث (من غياب النمو الاقتصادي، مرورا بعدم الاستقرار الاجتماعي وصولا إلى هيمنة الحكومات التسلطية) .

3)- من أهم المشاكل التي تعاني منها النظريات الماركسية عموما، تلك المتعلقة بأسسها النظرية والمنهجية، فهي تعتمد على بناء نظري theoretical construct واحد (التبعية أو النظام – العالم) من أجل احتواء نماذج وحالات خاصة متعددة. كما أن الماركسيين غالبا ما يعمدون إلى إجراء تغييرات في النظريات والمفاهيم على ضوء الأدلة الامبريقية أو على ضوء الإشكاليات التي تطرحها دراسات الحالة case studies، وأكثر من ذلك، فبعض الماركسيين لا يلجئون إلى دراسات الحالة إلا إذا بدا أنها قادرة على تزويد حججهم بالأدلة؛ وهو ما يلغي أي نوع من أنواع التوتر tension بين النظرية والنتائج theory and findings. إضافة إلى ذلك، فالماركسيون يفتقرون إلى الرغبة في اعتماد فرضيات بديلة [عوض فرضياتهم الأصلية التي قد لا تصمد أمام الواقع الإمبريقي.

4)- بعض الانتقادات ركزت على عدم حسم نظرية التبعية بمختلفة تياراتها في ما إذا كانت التبعية تؤدي إلى حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي (كما يدعي الماركسيون) أم أن التخلف هو الذي يضع الدول في وضعية التبعية، بصيغة أخرى، لم يحسم منظرو التبعية فيما إذا كانت التبعية سببا أم نتيجة للتخلف.

5)- عجز النظريات الماركسية (خاصة نظرية التبعية) عن تفسير النقلة التنموية في بعض دول العالم الثالث الناجحة اقتصاديا، كفنزويلا، البرازيل، سنغافورة وكوريا الجنوبية. وهي دول لا تمثل نموذجا للتنمية المستقلة، وإنما تبدو أنها استفادت بنجاح من الروابط الدولية [المشاركة بفعالية في الاقتصاد العالمي، والتفاوض بنجاح مع الشركات متعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية].

6)- القصور الفادح للاتجاه الماركسي في إدراك مستويات تحليل العلاقات الدولية، وذلك من خلال تركيزه على الطبقات كوحدة تحليل أساسية في فهم العلاقات الدولية، رغم أن هذا الادعاء يحمل في طياته تناقضا مع تركيز الماركسيين على تحليل نماذج الدولة في كل من المركز والمحيط، ، إضافة إلى كون بعض النظريات الماركسية (نظرية النظام – العالم كنموذج) نظريات نسقية systemic في الأساس، فهي تعتمد على النظام – وليس الطبقات – كمستوى تحليل.

النظرية السلوكية وما بعد السلوكية في العلاقات الدولية

نشأت المدرسة السلوكية في منتصف الخمسينات وتبلورت بشكل أساسي في الستينات. وهدفت السلوكية إلى إيجاد نظرية تعليلية تفسيرية و تنبؤيه. استعمل السلوكيون مناهج علمية وخاصة كمية في أبحاثهم واهتموا في تقديم واختيار فرضيات بشكل مقارن وقاموا ببناء نماذج و نظريات تقوم على فرضيات ومفاهيم محددة بدقة ومترابطة منطقياً.

اهتم السلوكيون بالأنماط المتكررة وليس بالحالات الفردية كمحور للبحث حيث يقوم بناء النظرية حسب السلوكيون على القدرة على التعميم وإطلاق الأحكام العامة. ويقوم هذا بدورة على إثبات الفرضيات. وظهر التحول مع السلوكية نحو المناهج العلمية القائمة على الإحصائيات وساهم في ذلك كله استعمال الحاسب الالكتروني والرياضيات.

اعتمدت المدرسة السلوكية في كثير من المجالات على النتائج التي توصل إليها علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الانثروبولوجيا الذين درسوا سلوكيات الأفراد والجماعات الاجتماعية. واستفادت المدرسة السلوكية من ذلك في بناء نظريات جزئية أو متوسطة في العلاقات الدولية، وذلك انطلاقاً من أن سلوكيات الدول هي أساساً سلوكيات الأفراد والجماعات الرسمية وغير الرسمية في تلك الدول.

المدرسة ما بعد السلوكية

إدا كانت مرحلة الستينات شهدت ظهور يسمى بالنظريات العلمية او النظريات الجزئية,واستفادة علم العلاقات الدولية من الفروع العلمية الأخرى في دراسة بعض جوانب العلاقات الدولية,فان تطور وابتداع مناهج بحث جديدة جعل من علم العلاقات الدولية يحتل مكانة مرموقة كحقل مستقل من حقول الدراسة والمعرفة.لدلك فان أهم سمة لهده المرحلة الجديدة من مراحل تطور علم العلاقات الدولية من ناحية وتحديد مجال وطبيعة العلاقات الدولية بشكل أكثر وضوحا من ناحية أخرى.

كما تتميز مرحلة ما بعد السلوكية بقيام تنظير في العلاقات الدولية يهتم ببناء النظريات وجعلها أكثر قدرة على التفسير والتنبؤ والتمييز بين الظواهر المحددة والربط بين مستويات التحليل الكلية والجزئية.

والى جانب دلك فمرحلة ما بعد السلوكية تتميز أيضا نتيجة لتحولات السبعينات,وبأنها تعطي اهتماما اكبر للمتغيرات الاقتصادية وتأثيرها على العلاقات الدولية,بحيث شهدت هده المرحلة اتساع نطاق دراسات العلاقات الدولية لتتضمن موضوعات اقتصادية لم تكن من صميم الاهتمام التقليدي لهدا الفرع من العلوم السياسي,وعلى نوع يفرض تخطي الحدود الرسمية بين علمي السياسة والاقتصاد.وهكذا أبرزت أهمية الموضوعات والقضايا الاقتصادية في العلاقات الدولية,سواء على صعيد العلاقات بين الدول الغربية أو على صعيد العلاقات بين الشرق والغرب,أو على صعيد العلاقات بين الشمال والجنوب.

أما فيما يخص منظري مدرسة ما بعد السلوكية الدين هم أنفسهم دعاة المدرسة السلوكية فنجد على رأسهم(رتشارد سنا يدر) و(ديفيد أستون),هدا الأخير الذي سبق (رتشاردسنايدر) في التمهيد للثورة العلمية التي اسماها بالثورة ما بعد السلوكية,كما انه يعدمن الدين خاضوا ثورة ضد السلوكية والتي تتنكر للقيم والاعتبارات الأخلاقية بحجة الموضوعية العلمية,وفي هذا الإطار يرى(ايستون) إن البحث السياسي لا يمكن إن يكون مجرد من القيم ويدعو إلى عكس دلك,اد يعتبر مثلا أن الباحثين و الأكاديميين عامة عليهم مسؤولية تاريخية خاصة لحماية قيم الحضارة الإنسانية وداك بوضع المعرفة في خلاصة هدا القيم,وبدلك تتقاطع النظرية ما بعد السلوكية مع الفكر التقليدي للنظرية السياسية الذي عبر عنها(ليوشتاوس) في أواخر الخمسينات عندما اعتبر إن الهدف الأساسي للبحث السياسي وهو الحصول على المعرفة الضرورية لبناء مجتمع العدل والحق.

وقد عدد(سيوم براون) و(ريتشارد)القيم والأهداف التي تهم الإنسانية والتي يفترض العمل على تحقيقها وهي التغلب على العنف للتوصل إلى إلغاء النزاعات والحروب وزيادة الازدهار الاقتصادي والاجتماعي[32]

ويمكن إرجاع العناصر التي أسهمت في ظهور المدرسة ما بعد السلوكية

[32] عبد الواحد ناصر، ***العلاقات الدولية*** (الرباط: مطبعة إليت زنقة،1991)

لقد تزامن ظهور مدرسة ما بعد السلوكية مع فترة الستينات ودلك بصدد الوقوف عند الثغرات التي اغفلتها المدرسة السلوكية لكي يكمل التحليل السلوكي للعلاقات الدولية وتزامن ظهورها مع بروز المحاورات الكبرى بين السلوكيين والتقليديين.

فثمة اتجاهات علمية لدراسة العلاقات من جوانب مختلفة,فلم تعد هده الدراسة وحدة مترابطة او وحدة متكاملة من الناحية الموضوعية فهناك تفريغ لهذه الدراسة أمام تعقد العلاقات الدولية وتشعب موضوعاتها فالمهمة الأساسية للمدرسة ما بعد السلوكية تكمن في محاولتها كسر واجز الصمت التي أرستها المدرسة السلوكية وتوجيه العلوم السياسية نحو معالجة وتلبية الحاجيات الضرورية للبشرية في فترات الأزمات والحروب.و صيانة قيم الحضارة الإنسانية والمحافظة عليها بوضع المعرفة في خدمة سلم القيم ففي ظل الأوضاع الأولية المتطورة سياسيا واقتصاديا منذ نهاية الستينات انتقل الاهتمام بدراسة المتغيرات الاقتصادية لدى الاتجاهات الحديثة في دراسة العلاقات الدولية من مجرد الاهتمام بها فقط إلى مستوى أخر وهو مستوى النظر إليها كقوى مؤثرة في تطور النظام الدولي المعاصر,الذي يتسم بتزايد الروابط,وبدرجة عالية من الاعتماد اللامتكافئ آو التبعية بين دول الشمال ودول الجنوب.

وهكذا أصبح المتخصصون في العلاقات الدولية يتناولون بالدراسة المشاكل والقضايا الاقتصادية العالمية مثل, اتفاقات التجارة العالمية, الإصلاح النقدي العالمي ,المساعدات,المديونية,ونقل التكنولوجيا وغيرها. مما أكد الارتباط بين دراسة العلاقات الدولية والمتغيرات الاقتصادية التي أصبحت لحيويتها تثير الاهتمام مثلها مثل المشاكل السياسية والإستراتيجية.

إن التفاعل الموجود بين المتغيرات السياسية والاقتصادية في الدراسات الحديثة, يعكس حجم الاهتمام المتزايد بالاعتماد المتبادل الدولي ، الذي أصبح مصطلحا شائع الاستعمال ألان لوصف تطور النظام الدولي.فالمحيط

الدولي المعاصر يشهد تزايد الروابط بين الإفراد والجماعات في الدول المختلفة,وفيما بين الحكومات وبين الأوضاع الداخلية والخارجية,وفيما بين الموضوعات السياسية والاقتصادية على نحول لم يعرفه التاريخ من قبل.

النظرية البنائية

ظهرت هذه النظرية إثر تراجع مصداقية النظرية الواقعية بعد نهاية الحرب الباردة التي اعتبرها العديد من المحللين أنها فشلت في التنبؤ بزوال الثنائية القطبية ونهاية الحرب الباردة ويمكن تعداد ثلاثة أسباب ساهمت لظهورها :

1)- حدوث تغيرات عميقة في السياسة الدولية مما حتم طرح مقاربات جديدة لفهمها(العولمة)، فلم تبرز الواقعية جدارة في التعامل مع تزايد تأثير الفواعل الغير الحكومية(الحركات الاجتماعية ...) .

2)-التطورات الحاصلة في العلوم الاجتماعية والفلسفية التي أعادت النظر في النظرية الفلسفية الوضعية (المعرفة التي تركز على العقلانية، التجريبية، التمييز بين الحقائق والقيم ، منهجية العلوم الطبيعية في العلوم الاجتماعية).

3)- بروز النظرية الليبرالية المؤسساتية الجديدة التي نافست الواقعية و أخذت تكتسب أهمية متزايدة في التصدي للنظرية الواقعية ضمن الأدبيات السياسية .

تعتبر النظرية البنائية نظرية وسطية أو جسر بين النظرية الوضعية (الواقعية ، الليبرالية ، الماركسية)، والنظرية التأملية التي تركز على الفلسفة والميتافيزيقا وليست حسية تعتمد على الاستنباط والقياس المنطقي.[33] لقد ادخل عالم ما بعد الحرب الباردة متغيرات الهوية والخصوصية الثقافية كأحد عناصر التحليل الأساسية مشاكل الهوية و الإثنيات و العرقيات وأدت تفاقما وأدت بالكثير من الدول إلى الانقسام يوغوسلافيا البوسنة ، الهرسك، الجبل الأسود ، تشيكوسلوفاكيا سلوفاكيا ، والتشيك رواندا ، وهذا ما أكده هنتنغتون.

[33] بيليس و سميث، ***مرجع سابق***، ص..353-359.

تعددت النظرية البنائية فداخل المنظور الواحد نجد هناك أكثر من اتجاه فنجد البنائيون الوضعيون العصريون أمثال ألكسندر واندت Alxender wendt 1992، البنائيون النيوكلاسكيون أمثال E.Kratochwill1989 ، نيكولا أونوف N.Onuf 1989، أدلر E.Adler ، بيتر كاتزنستين Peter Katzenstein والبنائيون ما بعد الحداثة دفيد أشلي D.Asheley، كامبلCampbell ، واشترك البنائيون عموما فيما بينهم بنقدهم لافتراضات سكونية المادة للنظرية التقليدية في العلاقات الدولية .وقد شددوا على الأبعاد الاجتماعية للعلاقات الدولية وعلى احتمال التغيير، إلا أنهم اختلفوا في مقاربتهم. فقد كان البعض منهم أكثر مراعاة لجمهوره الأوسع وصاغ نقده بلغة تفتح مساحة للحوار مع مفكري التيار السائد.بينما كان بعضهن الأخر أكثر حدة في صوغ مشكلة أو أكثر توسعا في نقده .وقد ساهم كلا التوجهين معا في قولبة مكانة البنائية في تخصص العلاقات الدولية .

أهم أفكار النظرية البنائية [34]

أولا: تنظر البنائية إلى الواقع الدولي أنه بناء اجتماعي ، أي وجود اختلاف عبر السياق بدلا من وجود واقع موضوعي منفرد.، وقد سعى البنائيون إلى تفسير وفهم التغير على المستوى الدولي ، فالنظريات التقليدية غالبا ما افترضت تماثل الدول عبر الزمان والمكان فقد حددت الأولوية لعملية التعرف إلى الأنماط المنتظمة ، وذلك بهدف التعميم وبناء نظرية .

ثانيا: أكد البنائيون أهمية الأبعاد الاجتماعية للعلاقات الدولية ، فأظهروا أهمية الثقافة، القيم، والأفكار،اللغة ،وكيفية إدراك المجموعات المختلفة لهوياتها ومصالحه، و كيف تنشأ الأفكار والهويات والكيفية التي تتفاعل مع بعضها البعض. فهم مثلا يتساءلون ما إذا كان الأوربيون ينظرون إلى أنفسهم بمنظور وطني أم قاري ، وهل سيعيد الألمان واليابانيون النظر إلى أنفسهم ويتبنون أدورا خارجية فعالة ، هل ستلعب الولايات المتحدة الأمريكية دور دركي العالم ؟، و لا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات إلا بالعودة إلى الهوية السائدة في المجتمع والأفكار والثقافة وقدرة الخطاب على صياغة الكيفية التي يحدد بها الفاعلون هويتهم ومصالحهم وبالنتيجة يقومون بتعديل سلوكهم.

ثالثا :اعتقد البنائيون أن لا الفرد ولا الدولة ولا مصالح الجماعة حتمية ثابتة ، لكنها مبنية اجتماعية من خلال تفاعل مستمر. وسلوك الدولة تشكله معتقدات النخبة، والأفراد الذين ينتمون إلى جمعيات ويصوغون

[34] منغست، و أريغوين، ***مرجع سابق***، ص ص. 132-139.

و يشكلون ويغيرون أفكارهم وثقافتهم وممارستهم ، فمصالح الدولة المتغيرة هي نتاج الهويات الاجتماعية والقوى اللاعبة.(المصالح يتم بناءها بواسطة الهياكل الاجتماعية أكثر من كونها مسلمات خارجية المنشأ).

رابعا: تفرق البنائية بين القواعد المؤسسة والقواعد المنظمة للعلاقات الدولية. تهتم الأولى بأصل الأشياء أي كيف تتكون ، أما الثانية فتهتم بالعلاقة بين هذه الأشياء (الدول، والنظام الدولي ، والمؤسسات). فلا تركز النظرية الواقعية الجديدة و الليبرالية الجديدة على مفهوم القواعد المؤسسة بل على قواعد موجودة أصلا المنظمة . فالواقعية لا تركز على شرح التغير الهيكلي، في حين أن النظرية البنائية تركز على الدولة ويمكنها أن تشرح كيف يحدث التغيير في بنية النظام الدولي بوجود فواعل إلى جانب الدولة محلية أو عبر قومية قد تكون أكثر أهمية من الدول كبادئين بالتغيير و لكن تغيير النظام في النهاية يحدث من خلال الدول.

خامسا : تعبر الدولة عن البنى الاجتماعية باعتبارها هي السلطة التي تنظم العنف أي تحتكر الاستخدام المشروع للعنف المنظم دوليا فهي التي تسيطر على الشخصية الاعتبارية في السياسات العالمية المعاصرة .

سادسا: لا يوجد منطق متأصل للفوضى ، فالفوضى هي ما تصنعه الدول منها what Anarchy is states makes of it، فحالة الفوضى لا تخبرنا إلا القليل عن حالة السلوك فلا يمكننا أن نتصور ما إذا كانت دولتان ستدخلان في علاقة صداقة أم عداء. فما نحتاج معرفته هو البنى المعيارية الهوية وتغييرها و ليس توزيع القدرات المادية (العسكرية)، فالبنية ليست مسؤولة عن حالة الفوضى بل البنى المعيارية (التفاعل بين الهويات). والفوضى تنشأ نتيجة للتأثير المتبادل للفاعلين الذين يستخدمون قواعد معينة ويدخلون في معاملات اجتماعية و تأخذ الفوضى معاني عديدة من التنافس (لوك)، العداء (هوبز) ،التعاون [35].

سابعا : رأى البنائيون السلطة مهمة لكنها ليت مادية عسكرية ، اقتصادية ، سياسية بل قوة الأفكار والثقافة واللغة فتتضمن السلطة أفكار مثل الشرعية فقد تكيف الدول تدابيرها لكي تقيمها الدول الأخرى في الجماعة الدولية أنها شرعية فهدفهم إيجاد مصادر لتلك السلطة .

[35] م كوركي، و دان، و سميت، ***مرجع سابق***، ص.429-468.

الاتجاهات الفكرية في المنظور البنائي

البنائية الممنهجة

لا بد من الإشارة إلى الانقسامات التي طرأت على النظرية البنائية، حيث إن مؤلفات ويندت مثلت ظهور ما يسمى البنائية الممنهجة (systemic constructivism) والتي يبعتبر بموجبها أن الهوية تؤثر بالمصالح ومن ثم بالأفعال، وتتشكل هذه الهوية بحسب ويندت من خلال عمليات ممنهجة واستراتيجية، وبالتالي فإن سلوك الدولة هو من يحدد هويتها وليس المعايير أوالأفكار بالدرجة الأولى، وبذلك فإن ويندت تجاهل القوى الداخلية التي تؤثر في تشكيل هوية الدولة.

بنائية مستوى الوحدة

انتقد ببيتر كاتزينستين ويندت و أنشأ ما يسمى بنائية مستوى الوحدة (Unit–level constructivism) والتي تركز على دور القوى والمعايير الداخلية في تكوين الهوية، حيث ركز هذا النموذج على تفسير التحولات التي طرأت على كل من اليابان وألمانيا لتصبح من أكثر الدول ديمقراطية بعد أن كانت من أكثر الدول أوتوقراطية، مع أن الوضع الدولي لكل منهما كان مزريًا في أعقاب خسارة الحرب العالمية الثانية.

البنائية الكلية

وبما أن الفجوة بين تأثيرات الداخل والخارج قد حكمت النظرية البنائية بشقيها المذكورين آنفًا، فقد ظهر القسم الثالث وهو البنائية الكليّة (Holistic constructivism) والتي سعت لإنشاء جسر بين الطرفين والعمل على درم الفجوة، من خلال إظهار العلاقة بين الداخل والخارج واعتبار التفاعلات بينهما هي ما يؤدي لنشوء هذه الهوية وقذ جاءت مؤلفات فريدريك كراتوتشويل التي تناولت انتهاء الحرب الباردة كمثال بارز على البنائية الكليّة والتي حاولت تفسير التطورات التي طرأت على النظام العالمي في أعقاب انتهاء الحرب

وبمكن إرجاع الأسباب التي أدت إلى ذلك:[36]

بقيت النظرية البنائية تعاني من أربع إشكاليات رئيسية على الرغم من الشهرة التي كانت نالتها:

أولها هو عدم اتفاق البنائيين حول طبيعة نظريتهم، حتى أن العديد منهم أشار إلى أن البنائية ليست نظرية بالمعنى التقليدي، بل إنها تميل لأن تكون إطار عمل تحليلي، ولكن ويندت لم يقبل هذا الأمر بل أشار إلى أن مشروعه يهدف إلى بناء نظرية اجتماعية في العلاقات الدولية، ولكن اقترابه من العقلانيين واستخدامه لما سماه منهجية «الواقعية العلمية» جعله على خلاف مع معظم البنائيين.

أما بالنسبة للقضية الثانية الثانية فكانت العلاقة مع العقلانيين ففي حين ينظر بعض البنائيين لنظريتهم بوصفها مكمّلة للافتراضات العقلانية لأنها تحلل كيفية تشكيل المصالح من خلال الهويات، يتحفظ البعض الآخر من أمثال ريوس سميت على هذه النظرة لأنهم يعتقدون أن نظريتهم البنائية ليست مكملة للنظريات العقلانية وحسب إنما شاملة لها، لأن البنائية تعمل على تحليل عقلانية العقلانيين.

وكانت القضية الثالثة هي المنهجية التي يتوجب عليهم اتباعها ففي حين نظر العديد من البنائيين إلى منهجية الفلسفة الوضعية بوصفها مقنعة منهجيًا (methodological conventionalism) عارض آخرون هذا واختاروا البقاء إلى جانب النظريات النقدية في اختيارهم للمنهجيات التفسيرية، لأنها برأيهم الأجدى في دراسة وتحليل السلوك البشري والاجتماعي. وبقي هذا النزاع المنهجي مسيطرًا على رواد النظرية حتى يومنا هذا.

وأخيرًا فقد كانت القضية الرابعة حول العلاقة بين النظرية البنائية والنظرية النقدية ففي حين يرى البعض أن النظرية البنائية تلمتلك جذورًا قوية في النظرية النقدية وبالتالي فهي أحد أعمدة المشروع النقدي، يرى فيها آخرون مجرد أداة تحليلية أو تفسيرية يمكن أن تستخدمها النظرية النقدية.

[36] طارق البيطار ، ّ النظرية البنائية.. أهم المناظرات في العلاقات الدولية "***سياسة بوست***(15:00 08 أبريل, 2018)، https://www.sasapost.com/opinion/constructivism/، تم التصفح في 5 ديسمبر 2018

في الحقيقة لكل من أصحاب وجهات النظر السابقة مبرراته، ولكنّ كل تلك الانقسامات تجعل من النظرية البنائية صعبة التعريف، وذات طبيعة جدليّة، فلا يمكن لنا إيجاد قالب ثابت لتعريف هذه النظرية، وهذا ما يضعنا أمام سؤال مهم ألا وهو، ما الذي قدمته النظرية البنائية من إسهامات في حقل العلاقات الدولية؟

أهم الانتقادات الموجهة للنظرية البنائية [37]

– انتقدت البنائية من جانب عدم الانسجام في الأفكار، وهذا ما يؤكده كنيث والتز حيث يرى بأن البنائية جاءت على أساس جمع الأفكار وانتقائها من دون إقصاء، إلا أنها وقعت في فخ فوضى الأفكار،ولم تستطع أن تقدم أفكارها في شكل منسجم ومترابط، فالبنائية ماهي إلا جمع للأفكار.

– من الجانب المنهجي لا توجد طريقة لإثبات صحة أو خطأ أفكار البنائية، حيث أنها تؤكد على أن كل شيء يحدث في أذهان الناس، وهذا ما يجعل من المستحيل ملاحظة وتقييم هذه التصورات ن وهذا النقد وجه إلى wendt الذي لم يقدم طريقة لفهم وتقييم أفكار الناس.

– قيمة التحليل تكمن في البساطة ، فليس العبرة في تعقيد التحليل ، فوظيفة النظرية إذن تبسيط الواقع المعقد و تفسيره، والبنائية ماهي إلا تعقيدا من حيث الطرح الإبستمولوجي والسعي وراء المتغيرات النفسية(تحليل الخطاب) التي يعتبرها البعض بأنها متغيرات غير عقلانية في التحليل. و عليه فإذا ما كان الهدف من الإتيان بالنظريات هو تبسيط الحقيقة المستخلصة منها، فلن تكون إذن ذات جدوى إذا ما كانت النظرية معقدة .

– إذا كانت البنائية تسعى وراء وصل الهوة الفاصلة و التي مازالت واسعة – بين أصحاب النظريات من منظري ما بعد الحداثة ويظل التساؤل مفتوحاً حول ما إذا كان بإمكان الحركة البنائية أن تمثل تحدياً قوياً للواقعية، أو إذا ما كانت ستتلاشى مثل ما بعد الحداثة، إلا أننا في حاجة لتوجيه العديد من الأسئلة التي أثارها أصحاب الواقعية و آخرين غيرهم.

[37] "النظرية البنائية في العلاقات الدولية ، " ***الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية***(2017/12/27)، https://www.politics-dz.com/community/threads/alnzri-albna-i-fi-alylaqat-alduli.5983/، تم التصفح في 2018/12/5.

–يعد السؤال عن العناصر المعيارية واحداً من الموضوعات التي تود الحركة البنائية أن توجه النظر إليه. ففي حين تحاول الواقعية بجد أن تخفى محتوياتها المعيارية فإن رغبة البنائية المعيارية في تحويل العالم تبدو واضحة تماماً. ففي حين أننا نأمل أن يكون لدينا زعماء مثل جورباتشوف في السلطة ، فكيف نمنع زعماء مثل ستالين وهتلر من الصعود إلى القمة ؟ وكيف نمنع المبادئ والمعايير وتلك المفاهيم الفاسدة للسياسة العالمية من الانتشار ؟ لا يحتاج أصحاب الحركة البنائية فقط للإشارة إلى اهتمامهم بكل من المعايير والتفاهم المتبادل والممارسات الشائعة، ولكنهم يهتمون أيضاً بمعرفة كيف تشكلت ، وكيف يمكن تغيير مسارها. و أخيراً، ما هو سلوك السياسة الخارجية الذي لا يمكن أن نتوقعه نتيجة لظروف معينة .

مما لاشك فيه أن البنائية تبرز الكثير من النقاط القيمة كما أنها تعمق فهمنا لسياسة العالم، إلا أنه ليس من الحكمة أن نحاول الدخول في معركة وضعية مع الواقعية. فالأفضل أن يتمكن البنائيون من تقديم نظريات علمية متدفقة على غرار تلك التي يتظاهر الواقعيون بتقديمها، والفرصة المتاحة هنا هي أنه سوف يكون بإمكان البنائيين تقديم نظريات علمية أكثر تفوقاً من نظريات الآخرين استناداً للواقع القائل بأنهم يتعاملون فعلياً مع تصورات أكثر صعوبة. أما الأسوأ فهو أن لا يتمكن البنائيون أبداً من تقديم نظريات ذات محتويات امبريقية مقحمين أنفسهم في مجادلات ما بعد النظرية. موجز القول انه ليس من الواضح إذا ما كان يمكن للنظرية البنائية أن تنتصر في معركة معرفية مع الواقعية. و إذا ما كان الأمر هكذا، فإن الواقعية سوف تستمر في البقاء كواحدة من أقوى النظريات في مجال العلاقات الدولية .

قائمة المراجع

1- باللغة العربية

ديسوا جيرار، دراسة في العلاقات الدولية الجزء الأول النظريات الجيوسياسية، تر.قاسم المقداد(دمشق: دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع،2014).

ديسوا جيرار، دراسة في العلاقات الدولية الجزء الثاني النظريات البيدوالتية تر.قاسم المقداد(دمشق: دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع،2014).

- ديسوا جيرار، دراسة في العلاقات الدولية الجزء الثاني النظريات البيدوالتية تر.قاسم المقداد(دمشق: دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع،2014).

– ستيرن، جيفري، تركيبة المجتمع الدولي: مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، تر مركز الخليج(الإمارات العربية: مركز الخليج للأبحاث،2004).

–ستيف، سميت وجون، بيليس، تر.مركز الخليج للأبحاث(الإمارات العربية: مركز الخليج للأبحاث2005).ط

–حتى، ناصف يوسف، النظر ية في العلاقات الدولية (ببيروت دار الكتاب العربي ،1985).

–دوروتي، جيمس،بالستغراف روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر. وليد عبد الحي(الأردن كاظمة للنشر و التوزيع ،1985).

– مليا كوركي، تيم دان، ستيف سميت، نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع تر.ديما الخضرا (بيروت:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،2016).

– منغست، كارين أ.، و أريغوين م. إيفان، مبادئ العلاقات الدولية تر. حسام الدين خضور(دمشق دار الفرقد ،2013).

– بروان، كريس، فهم العلاقات الدولية ، ترجمة مركز الخليج للأبحاث والنشر(الإمارات المتحدة:مركز للأبحاث والنشر، 2004).

منذر، محمد، مبادئ العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2002).

– مقلد، إسماعيل صبري، نظريات السياسة الدولية: نظريات تحليلية مقارنة (الأردن:دار ذات السلاسل،1987) .

– جوق إدموند، علاقات دولية ، ترجمة منصور القاضي،(بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،1993).

2– باللغة الأجنبية

– Aziz Hasbi, Théories des Relations Internationales(Paris : éditions L'Harmattan , 2004).

– Roche Jean Jack ,Relations Internationales(Paris : éditons lextenso,5eme.ed.,2010).

- Batisttella Dario, les Théories des Relations Internationales

- Gazano Atoine , L'Essentiel des Relations,

- Smouts Marie-Claude, les Nouvelles Relations Internationales(Paris Presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques 1989).

,